



# مِن واجبنا تجاه جريمة حرق المصحف

قراءة واقعية في ضوء الكتاب والسنة  
الطبعة الثانية



١١ ربيع الأول، ١٤٤٥ هـ

د. هيثم عبدالمنعم الغريب  
المنصورة، مصر

## المحتويات

١	خطبة الحاجة.....
٢	المقدمة.....
٢	أهداف الدراسة.....
٤	المبحث الأول :- تحدٍ قائم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان.....
٤	الإسراء (٨٨).....
٧	هود (١٣ - ١٤).....
٨	البقرة (٢٣-٢٤).....
١٠	المبحث الثاني :- القول في بيان إعجاز القرآن.....
١٢	المبحث الثالث :- كان نصرانيا.....
١٢	المبحث الفرعي الأول :- اليهود والنصارى.....
١٢	المبحث الفرعي الثاني :- إن علم يقينا جهلهم بكتبتهم فجهلهم بالإسلام أولى.....
١٣	المبحث الفرعي الثالث :- تناقضات النصرانية تؤدي بهم إلى الإلحاد، فيظنون الإسلام كذلك.....
١٤	المبحث الرابع :- النصرانية وملح من تناقضاتها.....
١٤	المبحث الفرعي الأول :- التعريف.....
١٤	المادة (١١٦ - ١١٧).....
١٥	النصرانية:.....
١٥	المبحث الفرعي الثاني :- أصلها.....
١٥	المبحث الفرعي الثالث :- نشأتها وتاريخها.....
١٦	علاقتها باليهودية.....
١٦	أهل الكتاب (اليهود والنصارى).....
١٧	المبحث الفرعي الرابع :- ملح من تناقضاتها.....
١٧	الصاحبة والولد.....
١٧	عقيدة الخلاص.....
١٨	قضية الفداء المزعوم.....
١٩	واحد أم ثلاثة؟.....

- المبحث الخامس :- ثم أُلحد..... ٢٣
- فصلت (٥٢ - ٥٤) ..... ٢٣
- النمل (١٤) ..... ٢٣
- الطور (٣٥ - ٣٦) ..... ٢٤
- تنبيهه ..... ٢٤
- المبحث السادس :- لم تؤثر فيه سنين عمره وعشرته للمسلمين في بلده ..... ٢٦
- آل عمران (١١٨) ..... ٢٧
- النساء (١١٤) ..... ٢٨
- المائدة (٥١ - ٥٢) ..... ٢٨
- المائدة (٥٧) ..... ٢٩
- التوبة (٢٣-٢٤) ..... ٢٩
- المجادلة (٢٢) ..... ٣٠
- المتحنة (١) ..... ٣١
- المتحنة (١٣) ..... ٣٢
- المبحث السابع :- هل قرؤوا القرآن الكريم وتدبروه؟ ..... ٣٤
- الدليل الأول :- شهادة من سمع القرآن من الجن ..... ٣٤
- الدليل الثاني :- شهادة من قرأ القرآن الكريم من المنصفين من غير المسلمين ..... ٣٤
- الدليل الثاني :- شهادة غير المسلمين ممن هداهم الله ﷺ للإسلام ..... ٣٦
- الدليل الثالث :- حقايرة الأسلوب المتَّبَع والذي لا يحتاج لمثله العاقل ..... ٣٧
- المبحث الثامن :- ماذا يمنع المسلمين من الإقدام على مثل هذا الفعل مع التوراة والإنجيل؟ ..... ٣٩
- الخلاصة ..... ٣٩
- المبحث الفرعي الأول :- المسلمون يؤمنون بجميع الكتب التي أنزلها الله ﷻ على رسله ..... ٣٩
- البقرة (٢١٣) ..... ٣٩
- البقرة (٢٨٤ - ٢٨٥) ..... ٤٠
- آل عمران (١ - ٦) ..... ٤٠
- النساء (١٣٦) ..... ٤٠

- ٤٠ ..... المبحث الفرعي الثاني :- من أدلة تحريف التوراة والإنجيل
- ٤١ ..... البقرة (٧٥ - ٧٦)
- ٤١ ..... النساء (٤٦)
- ٤٢ ..... المائدة (١٢ - ١٣)
- ٤٣ ..... المائدة (٤١)
- ٤٤ ..... الحديث الأول
- ٤٥ ..... المبحث الفرعي الثالث :- إخفاء نبوة نبينا محمد ﷺ من أكبر أدلة تحريفهم
- ٤٦ ..... آل عمران (٨١-٨٢)
- ٤٧ ..... الأعراف (١٥٧)
- ٤٧ ..... الصف (٦ - ٩)
- المبحث التاسع :- هل حرق القرآن الكريم (ظاهرة في ازدياد) كما يسميها البعض، أم هو مجرد حدث فردي عابر، أم هو شيء آخر؟
- ٤٩ ..... الحديث الأول
- ٤٩ ..... رواية أخرى للحديث الأول
- ٤٩ ..... في "فتح الباري بشرح البخاري"
- ٥١ ..... الحديث الثاني
- ٥١ ..... في "شرح صحيح مسلم" للنووي
- ٥٢ ..... من موقع "الدرر السنية" في شرح هذا الحديث
- ٥٣ ..... مسألة أصولية :- هذا الحديث له حكم الرفع
- ٥٤ ..... الحديث الثالث
- ٥٤ ..... الحديث الرابع
- ٥٥ ..... المبحث العاشر :- أقسام الناس في التعامل مع هذه الجريمة النكراء
- ٥٥ ..... القسم الأول :- التجاهل والتغافل والسلبية التامة واللامبالاة
- ٥٥ ..... القسم الثاني :- الغضب الشديد المؤدي إلى انفعال عابر يعقبه لا شيء
- ٥٥ ..... القسم الثالث :- الخطب الحماسية
- ٥٦ ..... تنبيه :- فضل الدعاء وأهميته
- ٥٦ ..... القسم الرابع :- ما نستقيه من سيرة رسول الله ﷺ

- ٥٧ ..... الحديث الأول
- ٥٧ ..... الحديث الثاني
- ٥٨ ..... من الأثر
- ٥٩ ..... المبحث الحادي عشر :- الدين النصيحة
- ٥٩ ..... الحديث الأول
- ٥٩ ..... في "فتح الباري بشرح البخاري" في هذا الحديث
- ٦٠ ..... الحديث الثاني
- ٦٠ ..... في "شرح صحيح مسلم للنووي" في هذا الحديث
- ٦٢ ..... المبحث الثاني عشر :- واجبتنا تجاه ما يحدث
- ٦٢ ..... الحديث الأول: ما علاقتي بهذا الأمر؟
- ٦٢ ..... الحديث الثاني: هل ممكن أن تكون معصيتي سبب نزول العقاب والبلاء بالأمّة؟
- ٦٢ ..... الحديث الثالث: هل ممكن أن يكون لي دور في نجاة هذه الأمّة؟
- ٦٣ ..... من واجبتنا تجاه جريمة حرق المصحف
- ٦٤ ..... الواجب الأول :- مع الله ﷻ
- ٦٥ ..... تحقيق التوحيد
- ٦٥ ..... النحل (٣٦)
- ٦٥ ..... الاستغفار والتوبة إلى الله ﷻ
- ٦٥ ..... المائدة (٦٦)
- ٦٥ ..... نوح (١٠ - ١٤)
- ٦٥ ..... أن يكون القلب متعلقا بالله ﷻ وحده
- ٦٥ ..... الطلاق (٣)
- ٦٥ ..... الدعاء كدعاء الغريق
- ٦٥ ..... الحديث الأول
- ٦٦ ..... الحديث الثاني
- ٦٦ ..... الاستغائة
- ٦٦ ..... الأنفال (٩ - ١٤)

- ٦٧ .....الذل والتضرع إلى الله ﷻ
- ٦٧ ..... آل عمران (١٢٣)
- ٦٨ .....الإخلاص في العمل
- ٦٨ .....ابتغاء العِزة
- ٦٨ .....النساء (١٣٨ - ١٣٩)
- ٦٩ .....يونس (٦٥)
- ٦٩ .....فاطر (١٠)
- ٦٩ .....المنافقون (٨)
- ٧٠ .....الصبر واليقين
- ٧٠ .....السجدة (٢٤)
- ٧٠ .....الأخذ بأسباب النصر وأولها العلم
- ٧٠ ..... آل عمران (١٢٥ - ١٢٧)
- ٧١ .....التوبة (١٢٢)
- ٧١ .....الفرقان (٥٢)
- ٧٢ .....الحديث الأول
- ٧٤ .....الواجب الثاني :- مع كتاب الله ﷻ
- ٧٤ .....واجبنا مع كتاب ربنا ﷻ
- ٧٥ .....مفاتيح تدبير القرآن
- ٧٥ .....استحضار أهداف قراءة القرآن
- ٧٦ .....الواجب الثالث :- مع رسول الله ﷺ
- ٧٧ .....الواجب الرابع :- مع أئمة المسلمين والحكام وولاة الأمور وأصحاب القرار
- ٧٧ .....النصيحة بضوابطها الشرعية
- ٧٧ .....الحديث الأول
- ٨٠ .....الواجب الخامس :- مع عامّة المسلمين
- ٨٠ ..... آل عمران (١١٠)
- ٨٠ .....يوسف (٨٧)

- الزمر (٥٣) ..... ٨٠
- الحديث الأول ..... ٨٠
- الواجب السادس -: مع غير المسلمين ..... ٨١
- المتحنة (١ - ٥) ..... ٨١
- المتحنة (٦ - ٩) ..... ٨٣
- الواجب السابع -: مع الدول التي سمحت أو دعمت هذه الجريمة أو امتنعت عن إدانتها ..... ٨٥
- المغادرة ..... ٨٥
- النساء (١٠٠) ..... ٨٥
- الواجب الثامن -: مع من قام بهذه الجريمة النكراء ..... ٨٨
- الواجب الأول ..... ٨٨
- الحديث الثالث : حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه ..... ٩١
- الحديث الرابع : حديث فتح مكة ..... ٩١
- الحديث الخامس : حديث الأعمى الذي كانت له أم ولد تسبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ..... ٩٢
- الحديث السادس : حديث اليهودية التي كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم ..... ٩٢
- الواجب الثاني : الدعاء ..... ٩٣
- قول الله صلى الله عليه وسلم على لسان نوح عليه السلام ..... ٩٣
- قول الله صلى الله عليه وسلم على لسان موسى عليه السلام ..... ٩٣
- الحديث الأول : حديث رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لِحْيَانَ وَبَنِي عُصَيَّةَ ..... ٩٣
- الحديث الثاني : حديث دَوْس ..... ٩٣
- الواجب التاسع -: مع المنافقين والعلمانيين وأذناهم ومن على شاكلتهم ..... ٩٤
- النساء (٦٣) ..... ٩٤
- النساء (٨٨ - ٨٩) ..... ٩٤
- النساء (١٤٠) ..... ٩٥
- التوبة (٧٣) ..... ٩٥
- الأحزاب (١) ..... ٩٦
- الأحزاب (٤٨) ..... ٩٧

- الأحزاب (٦٠ - ٦٢) ..... ٩٧
- التحريم (٩) ..... ٩٨
- الواجب العاشر -: مع الأزواج والأبناء ..... ٩٩
- التحريم (٦) ..... ٩٩
- المبحث الثالث عشر -: المسلم لا يهون على الله ﷻ وإن هان على الناس ..... ١٠٠
- لنا في الأنبياء قدوة وأسوة ..... ١٠٠
- نبينا محمد ﷺ ..... ١٠٠
- خليل الله إبراهيم ﷺ ..... ١٠٤
- نبي الله شعيب ﷺ ..... ١٠٤
- نبي الله يوسف ﷺ ..... ١٠٤
- لنا في صحابة نبينا محمد ﷺ أسوة حسنة ..... ١٠٦
- مصعب بن عمير ﷺ ..... ١٠٦
- هل هذه مفاجأة أم أن الله ﷻ أخبرنا بهذا؟ ..... ١٠٦
- آل عمران (١٨٦) ..... ١٠٦
- هل هناك صلة بين نعيم الدنيا والكرامة على الله ﷻ؟ ..... ١٠٧
- كيف يكون الكفار في هذا النعيم وحال المسلمين لا يخفى على أحد؟ ..... ١٠٧
- إجماع أهل التفسير على فضل الله ورحمته في الآية (٥٨) من سورة يونس ..... ١٠٨
- قراءات ..... ١٠٩
- تفسير الآية ..... ١٠٩
- لماذا ينقمون كل هذه النعمة على القرآن الكريم؟ ..... ١١٠
- خاتمة ..... ١١٢
- السيرة الذاتية ..... ١١٥



من واجبتنا تجاه جريمة حرق المصحف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ  
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ  
لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾  
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ  
هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ  
عَمًّى ۗ أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤١-٤٤]

## خطبة الحاجة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا

اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ ۖ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد

إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ

بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

## المقدمة

إن الاعتداءات المتكررة على كلام ربنا ﷺ - القرآن الكريم - لا تخفى على أي مسلم له اتصال بالعالم من حولنا، بل إنها من كثرتها أصبحت تعيد قراءة الخبر أو سؤال من تتحدث معه بهذا الشأن حتى تستطيع التفريق بين زمان ومكان وقوع هذه الجريمة النكراء، وتمييز القائمين عليها. وإن ما يحدث مع كتاب ربنا ﷺ بهذه الطريقة الممنهجة هو - ولا شك - حلقة في مسلسل الصراع بين الحق والباطل، بين التوحيد والشرك، بين الإسلام والكفر، وإنه بالتأكيد عدوان حقيقي في معركة بدأها إبليس اللعين مع أبينا آدم ﷺ ثم مع ذريته من بعده محاولاً شق السبيل صرف بني آدم عن الحق، مستخدماً جنوده ورجاله في هذه المعركة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿١١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿١٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَضَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ مِمَّا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١١-١٥]

إن معرفة هدف عدوك وإفشال مخططه بكافة السبل، وحرمانه من الوصول إلى هدفه هو الانتصار الحقيقي في هذه المعركة، التي تطول حلقاتها، وتتابع أحداثها، فإنها معركة بين الحق والباطل، بين الخير والشر، معركة نعلم يقيناً أن الحق منتصر فيها لا محالة، وأن الله ﷻ مؤيد دينه بالنصر والظهور، عاجلاً أو آجلاً، بنا أو بغيرنا، نسأل الله ﷻ أن يستعملنا ولا يستبدل بنا.

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يَعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٣٦-٤٠]

﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءٌ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَن يَبْخُلُ وَمَن يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْعَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨]

## أهداف الدراسة

هذه الدراسة هي محاولة في فهم ما يحدث في هذه الجزئية من المعركة، ألا وهي تعمُد الإساءة بهذه الطريقة الفجة البغيضة إلى كلام ربنا ﷺ القرآن الكريم، وتصنيف أحداثها وأسبابها ودوافعها، في صورة مباحث مترابطة، للوصول إلى ثلاثة أهداف رئيسية :-

الهدف الأول :- التوصيف الدقيق لما يحدث، وما يرمون إليه من تكرار هذه الجريمة وتعمد نشرها، حتى لا ننشغل بقضايا فرعية عن الهدف الرئيسي لهم، فنظل نواجه الفرعيات ونغفل عن الأساس الذي يرمون إليه

الهدف الثاني :- محاولة الوصول إلى إطار عملي شامل يتوافق مع الإمكانيات الحالية المتاحة، مستقى من استقراء القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ ثم آثار الصحابة ﷺ والتابعين وأقوال المفسرين

الهدف الثالث:- بيان أهمية إفساد مخططهم في حرب الله ﷻ وحرب كتابه وحرب رسوله ﷺ وحرب سنة رسول الله ﷺ وحرب الإسلام وشعائره عموماً، وأن الهدف الرئيسي الذي يجب أن يكون التركيز عليه هو إجهاض هذه المحاولات، والتحرك بيقين واعتقاد أن الله متم نوره ولو كره الكافرون

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ  
بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣]

نسأل الله ﷻ التوفيق والسداد والرشاد

## المبحث الأول :- تحدٍ قائم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان

يمكننا القول مستعينين بالله ﷻ وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله، إن البشرية على مدار تاريخها لم ولن تعرف تحدٍ بهذا الوضوح وهذه القوة وهذا الإعجاز، على الرغم من التدرج في التَّنَزُّل في صعوبة التحدي، إلا أن العجز التام والفشل المُطَبَّق في خوض غمار هذا التحدي هو النتيجة المشتركة بين كل من فكَّر أو سَوَّلَت له نفسه خوض هذا الغمار، فكل مَنْ له مَسْحَةٌ من عقل لا يجد إلا التسليم أن هذا القرآن الكريم هو تنزيل من حكيم حميد.

الإسراء (٨٨)

يقول ربنا ﷻ في محكم التنزيل

﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

[الإسراء: ٨٨]

قال السعدي<sup>(١)</sup> (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره"<sup>(٢)</sup> :-

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي الناصري التميمي (١٨٨٩-١٩٥٧ م / ١٣٠٧-١٣٧٦ هـ) هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي الناصري التميمي ويعرف اختصاراً بالسعدي ولد في بلدة عنيزة في القصيم يوم ١٢ محرم عام ١٣٠٧ هـ، وتوفيت أمه وله من العمر أربع سنوات وتوفي والده وهو في السابعة، فترى يتيماً، ولكنه نشأ نشأة حسنة، وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في التعلم، وهو مصنف وكاتب كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

النشأة

قرأ القرآن الكريم بعد وفاة والده ثم حفظه عن ظهر قلب، وأتقنه وعمره أحد عشر سنة، ثم اشتغل في التعلم على علماء بلده وعلى من قدم بلده من العلماء، فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين عام جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم، ويقضي جميع أوقاته في ذلك حتى أنه في عام ١٣٥٠ هـ صار التدريس ببلده راجعاً إليه، ومعمل جميع الطلبة في التعلم.

أسرته

- تزوج الشيخ من حصة العبد العزيز السعدي في عام ١٣٣٠ هـ وتوفيت في مدينة الخبر ٢٥ شوال من عام ١٣٩١ هـ، وله من الأبناء والبنات:
- عبد الله توفي عام ١٤٠٥ هـ،
- أحمد توفي عام ١٤٢٢ هـ،
- محمد، توفي عام ١٤٤٣ هـ
- لولوة زوجة صالح عبد الله الشبل توفيت في شهر صفر من عام ١٤٢٠ هـ،
- نورة زوجة عبد الله السليمان السعدي.

طلابه

- الشيخ محمد بن صالح العثيمين: أشهر تلاميذ السعدي وأكثرهم تأثراً بشيخه في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني.
- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام: من تلاميذ السعدي، تولى منصب القضاء بمحكمة الطائف، وفي عام ١٣٩٠ هـ تم تعيينه عضواً في هيئة تمييز الأحكام الشرعية بالمنطقة الغربية بمكة المكرمة.
- وغيرهم من التلاميذ.

مشايخه

أخذ السعدي عن الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وهو أول من قرأ عليه وكان يصف شيخه بحفظه للحديث، ويتحدث عن ورعه ومحبته للفقراء مع حاجته ومواسمهم، وكثيراً ما يأتيه الفقير في اليوم الشاتي فيخلع أحد ثوبيه ويلبسه الفقير مع حاجته إليه، وقلة ذات يده، ومن مشايخه الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، قرأ عليه في الفقه وعلوم العربية وغيرهما، والشيخ صالح بن عثمان القاضي - قاضي عنيزة - قرأ عليه في التوحيد والتفسير والفقه أصوله وفروعه وعلوم العربية، وهو أكثر من قرأ عليه ولازمه ملازمة تامة حتى توفي، كما تعلم وأخذ من كل من الشيخ عبد الله بن عايض، الشيخ صعب التويجري، الشيخ علي السناني، والشيخ علي الناصر أبو وادي قرأ عليه السعدي في الحديث وأخذ عنه الأمهات الست وغيرها وأجازه في ذلك، والشيخ محمد بن الشيخ عبد العزيز محمد المانع - مدير المعارف في المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت - وقد قرأ عليه في عنيزة، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي - نزيل الحجاز قديماً ثم الزبير - لما قدم عنيزة وجلس فيها للتدريس قرأ عليه في التفسير والحديث وعلوم العربية كالنحو والصرف ونحوهما، والشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، والشيخ ناصر بن سعود بن عيسى شويبي في شقراء الذي استفاد منه عندما شرع في تصنيف كتاب تفسير القرآن.

المشايخ الذين أجازوه

كان ممن أجاز الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي بالرواية مجموعة من المشايخ هم:

- صالح بن عثمان القاضي.
- إبراهيم بن صالح بن عيسى.
- محمد الأمين محمود الشنقيطي.
- علي بن ناصر أبووادي.
- عبد الحي الكتاني.

علمه ومذهبه

تميز السعدي بمعرفته التامة في الفقه أصوله وفروعه، وكان في أول أمره متمسكاً بالمذهب الحنبلي تبعاً لمشايخه وحفظ بعض المتون من ذلك، وكان له مصنف في أول أمره في الفقه نظم رجز نحو أربعمان بيت وشرحه شرحاً مختصراً، ولكنه لم يرغب بظهوره لأنه على ما يعتقد أولاً. وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة، وبسبب استنارته بكتب الشيخين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي. وله اليد الطولى في التفسير إذ قرأ عدة تفاسير وبرع فيها وألف كتاباً في التفسير في عدة مجلدات فسره بالبدئية من غير أن يكون عنده وقت التصنيف كتاب تفسير ولا غيره، ودائماً يقرأ والتلاميذ في القرآن الكريم ويفسره ارتجالاً، ويستطرد ويبين من معاني القرآن وفوائده ويستنبط منه الفوائد والمعاني حتى أن سامعه يود ألا يسكت لفصاحته وجزالة لفظه وتوسعه في سياق الأدلة والقصص ومن اجتمع به وقرأ عليه وبحث معه عرف مكانته في المعلومات كذلك من قرأ مصنفاته وفتاويه.

مصنفاته

صنف السعدي كتباً، منها:

- أهمها، تفسيره للقرآن الكريم، المسى تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان، في ثمانى مجلدات أكمله في عام ١٣٤٤ هـ، وقد نال هذا التفسير الكثير من الاهتمام حيث طبع له طبعات عديدة.
- إرشاد أولى البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، رتبه على السؤال والجواب، طبع بمطبعة الترقى في دمشق عام ١٣٦٥ هـ على نفقته الخاصة ووزعه مجاناً.
- الدرّة المختصرة في محاسن الدين الإسلامى، طبع في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦ هـ.
- القواعد الحسان لتفسير القرآن، طبعها في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦ ووزع مجاناً.
- تزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، طبع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية على نفقة وجيه الحجاز نصير السنة الشيخ محمد نصيف عام ١٣٦٦ هـ.
- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين.
- توضيح الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية، وهو كالشرح لنونية ابن القيم.
- القول السديد في مقاصد التوحيد، طبع في مصر بمطبعة الإمام على نفقة عبد المحسن أبا بطين عام ١٣٦٧ هـ.
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، طبع على نفقة المؤلف وجماعة من المحسنين بمطبعة الإمام، ووزع مجاناً.
- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، طبع بمطبعة الإمام.
- بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار، وجمع فيه ٩٩ حديثاً شاملاً لفروع العلم الدينى.
- نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات والحقوق والآداب في الفقه الحنبلى وهو مقتضب.
- منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين.

وفاته

أصيب عام ١٣٧١ هـ بمرض ضغط الدم وضيق الشرايين، وتوفي عن عمر ناهز ٦٩ عاماً في خدمة العلم، وأدركته الوفاة قرب طلوع الفجر من يوم الخميس الموافق ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٣٧٦ هـ، في مدينة عنيزة في القصيم.

(٢) كتاب تفسير السعدي أو تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، من تفاسير القرآن الكريم في العصر الحديث.

أسلوب التفسير

تفسير ميسر يستخدم عبارات سهلة وواضحة، ويتجنب فيه المفسر الحشو والتطويل، ويترك الخلاف والقصص غير الموثوق فيها وروايات الإسرائيليات، ويركز على المعنى المقصود من الآية، وعنى التفسير بالعقيدة بما تشمله من توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

تقسيم الكتاب

كتب السعدي نسخته الأولى على ٩ مجلدات، أما الثانية فكانت في ٨ مجلدات. ويمكن تصنيفه ضمن كتب التفسير بالمأثور، بدأه صاحبه بمقدمة قال فيها:

"أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما من به الله علينا، ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين، ولأقيدته خوف الضياع، ولم يكن قصدي في ذلك إلا أن يكون المعنى هو المقصود" انتهى من كلامه ﷺ

بدأ به بعد المقدمة بفوائد هامة لقراءة وتفسير القرآن الكريم، ثم انتقل لسورة الفاتحة وصولاً لسورة الناس، ثم أتبعه بأسماء الله الحسنى.

زمن تأليف الكتاب

بدأ الشيخ تأليفه لهذا التفسير في عام ١٣٤٢ هـ وأنهاه في عام ١٣٤٤ هـ، كان عمره حين بدأه خمسة وثلاثون عاماً وأتمه وله من العمر سبعة وثلاثون عاماً.

غايته من التصنيف

وكانت غاية قصده من التصنيف هو نشر العلم والدعوة إلى الحق، ولهذا يؤلف ويكتب ويطلع ما يقدر عليه من مؤلفاته، لا ينال منها عرضاً زائلاً، أو يستفيد منها عرض الدنيا، بل يوزعها مجاناً ليعم النفع بها.

منهج ومحاسن تفسير السعدي

- اهتمامه بضرب الأمثال في القرآن الكريم
- ذكر العبر والعظات من القصص
- الاهتمام بالنحو والإعراب والاستعانة بها بالتفسير
- سهولة الألفاظ وبُسر العبارة
- موضوعية التفسير
- ندرّة التعرض للإسرائيليات
- اهتمامه بالجانب الفقهي
- عدم التعصب لمذهبه الحنبلي

إضافات للسعدي في تفسيره

- بدأ في كتابه بإضافة مجموعة من الأسس نقلها من كتاب «بدائع الفوائد» لابن القيم، هامة لفهم كتاب الله عز وجل. وتنتهي تلك الأسس للنحو والفقه والبلاغة.
- ختم التفسير بشرح أسماء الله الحسنى مستدلّاً عليها بآيات القرآن في بعض الأحيان، والأحاديث النبوية في أحيانٍ أخرى.
- الحكم: حيث كانت يستخلص من الآيات الأحكام الشرعية والمواعظ والعبر المستوحاة من الآيات.



وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على صحة ما جاء به الرسول وصدقته، حيث تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدرُوا عليه.

ووقع كما أخبر الله، فإن دواعي أعدائه المكذبين به، متوفرة على رد ما جاء به بأي: وجه كان، وهم أهل اللسان والفصاحة، فلو كان عندهم أدنى تأهل وتمكن من ذلك لفعلوه.

فعلم بذلك، أنهم أذعنوا غاية الإذعان، طوعًا وكرهًا، وعجزوا عن معارضته.

وكيف يقدر المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الذي ليس له علم ولا قدرة ولا إرادة ولا مشيئة ولا كلام ولا كمال إلا من ربه، أن يعارض كلام رب الأرض والسموات، المطلع على سائر الخفيات، الذي له الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمجد العظيم، الذي لو أن البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر مدادًا، والأشجار كلها أقلام، لنفذ المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفذ كلمات الله.

فكما أنه ليس أحد من المخلوقين مماثلاً لله في أوصافه فكلامه من أوصافه، التي لا يماثله فيها أحد، فليس كمثله شيء، في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله تبارك وتعالى.

فتبًا لمن اشتبه عليه كلام الخالق بكلام المخلوق، وزعم أن محمدًا ﷺ افتراه على الله واختلقه من نفسه. انتهى من كلامه ﷺ

### هود (١٣ - ١٤)

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣-١٤]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: افتري محمد هذا القرآن؟

فأجابهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه قد افتراه، فإنه لا فرق بينكم وبينه في الفصاحة والبلاغة، وأنتم الأعداء حقا، الحريصون بغاية ما يمكنكم على إبطال دعوته، فإن كنتم صادقين، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ على شيء من ذلك ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [من عند الله] لقيام الدليل والمقتضي، وانتفاء المعارض.

- كان يقوم باستخراج قواعد فقهية من الآيات.
- مأخذ على تفسير السعدي
- إغفاله للشعر
- تجاوزه الكثير للتعرض للقراءات المختلفة
- تفسيره للآية دون مفرداتها
- ندرة نسب الأقوال إلى أصحابها
- عدم تفصيل القصص، إنما يختصرها، وفي ذلك أيضا فائدة لألا يطول، وكذلك لا يتعدى بالمعاني فيأتي بغير ما أراد الله، ولا يأتي بالإسرائيليات
- قلة تطرقه لسبب النزول

﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: واعلموا أنه لا إله إلا هو أي: هو وحده المستحق للألوهية والعبادة، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: منقادون لألوهيته، مستسلمون لعبوديته، وفي هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصده اعتراض المعترضين، ولا قدح القادحين.

خصوصا إذا كان القدح لا مستند له، ولا يقدر فيما دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك، ماضيا على أمره، مقبلا على شأنه، وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي يختارونها. بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض، على جميع المسائل والمطالب. وفيها أن هذا القرآن، معجز بنفسه، لا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، بل ولا بسورة من مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء، تحداهم الله بذلك، فلم يعارضوه، لعلمهم أنهم لا قدرة فيهم على ذلك.

وفيها: أن مما يطلب فيه العلم، ولا يكفي غلبة الظن، علم القرآن، وعلم التوحيد، لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ انتهى من كلامه ﷺ

### البقرة (٢٣-٢٤)

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ النَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: (٢٣-٢٤)]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

وهذا دليل عقلي على صدق رسول الله ﷺ، وصحة ما جاء به، فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾ معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه، مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فها هنا أمر نصف، فيه الفيصلة بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم، لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتاب زعم أنه من عند الله، وقتلتم أنتم أنه تقوله وافتراه، فإن كان الأمر كما تقولون، فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهداءكم، فإن هذا أمر يسير عليكم، خصوصا وأنتم أهل الفصاحة والخطابة، والعداوة العظيمة للرسول، فإن جئتم بسورة من مثله، فهو كما زعمتم، وإن لم تأتوا بسورة من مثله وعجزتم غاية العجز، ولن تأتوا بسورة من مثله، ولكن هذا التقييم على وجه الإنصاف والتنزل معكم، فهذا آية كبرى، ودليل واضح [جلي] على صدقه وصدق ما جاء به، فيتعين عليكم اتباعه، واتقاء النار التي بلغت في الحرارة العظيمة [والشدّة]، أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنما تتقد بالحطب، وهذه النار الموصوفة معدة ومهيأة للكافرين بالله ورسوله. فاحذروا الكفر برسوله، بعد ما تبين لكم أنه رسول الله.

وهذه الآية ونحوها يسمونها آيات التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ وكيف يقدر المخلوق من تراب، أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ أم كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه، أن يأتي بكلام ككلام الكامل، الذي له الكمال المطلق، والغنى الواسع من كل الوجوه؟ هذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل من له أدنى ذوق ومعرفة [بأنواع] الكلام، إذا وزن هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلغاء، ظهر له الفرق العظيم. وفي قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ إلى آخره، دليل على أن الذي يُرجى له الهداية من الضلالة: [هو] الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فهذا إذا بين له الحق فهو حري بالتوفيق إن كان صادقا في طلب الحق. وأما المعاند الذي يعرف الحق ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه، لأنه ترك الحق بعد ما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه. وكذلك الشاك غير الصادق في طلب الحق، بل هو معرض غير مجتهد في طلبه، فهذا في الغالب أنه لا يوفق. وفي وصف الرسول

بالعبودية في هذا المقام العظيم، دليل على أن أعظم أوصافه ﷺ، قيامه بالعبودية، التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين. كما وصفه بالعبودية في مقام الإسرائ، فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ وفي مقام الإنزال، فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ وفي قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافا للمعتزلة، وفيها أيضا، أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ فلو كان [عصاة الموحدين] يخلدون فيها، لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافا للخوارج والمعتزلة. وفيها دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه، وهو الكفر، وأنواع المعاصي على اختلافها. انتهى من كلامه ﷺ

ولا يزال التحدي قائما!

## المبحث الثاني :- القول في بيان إعجاز القرآن<sup>(٣)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً

### القول في بيان إعجاز القرآن

قال أبو سليمان<sup>(٤)</sup> :- قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم بعد صدوروا عن ري، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته.

(٣) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ)، "بيان إعجاز القرآن"، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب]، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م، (١٠١)  
(٤) قال عنه الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، (١٧/ ٢٣ - ٢٨) :-  
الطبقة الثانية والعشرون

١٢ - الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم

الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، صاحب التصانيف.  
ولد: سنة بضع عشرة وثلاث مائة.

وسمع من: أبي سعيد بن الأعرابي بمكة، ومن إسماعيل بن محمد الصفار وطبقته ببغداد، ومن أبي بكر بن داسة وغيره بالبصرة، ومن أبي العباس الأضمر، وعدة بنيسابور.  
وعني بهذا الشأن متنا وإسناداً.

وروي أيضاً عن: أبي عمرو بن السماك، ومكرم القاضي، وأبي عمر غلام ثعلب، وحمزة بن محمد العقبي، وأبي بكر النجاد، وجعفر بن محمد الخلدي.

وأخذ الفقه على مذهب الشافعي عن: أبي بكر القفال الشاشي، وأبي علي بن أبي هريرة، ونظراًهما.

حدث عنه: أبو عبد الله الحاكم - وهو من أقرانه في السن والسند -، والإمام أبو حامد الإسفراييني، وأبو عمرو ومحمد بن عبد الله الرزجاني، والعلامة أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، وأبو مسعود الحسين بن محمد الكرابيسي، وأبو ذر عبد بن أحمد، وأبو نصر محمد بن أحمد البلخي الغزنوي، وجعفر بن محمد بن علي المروزي المجاور، وأبو بكر محمد بن الحسين الغزنوي المقرئ، وعلي بن الحسين السجزي الفقيه، ومحمد بن علي بن عبد الملك الفارسي الفسوي، وأبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي، وطائفة سواهم.

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد الفقيه، وشهدة بنت حسان، قالاً:

أخبرنا جعفر بن علي المالكي، أخبرنا أبو طاهر السلفي، قال: وأما أبو سليمان الشرح لكتاب أبي داود، فإذا وقف منصف على مصنفاته، واطلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته، تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته، وكان قدر حل في الحديث وقراءة العلوم، وطوف، ثم ألف في فنون من العلم، وصنف، وفي شيوخه كثرة، وكذلك في تصانيفه، منها (شرح السنن)، الذي عولنا على الشروع في إملانه وإلقائه، وكتابه في غريب الحديث، ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيدولا ابن قتيبة في كتابيهما، وهو كتاب متمم مفيد، ومحصله بنية موفق سعيد، ناولنيه القاضي أبو المحاسن بالري، وشيخه فيه عبد الغافر الفارسي يروي عن أبي سليمان، ولم يقع في من تواليفه سوى هذين الكتابين مناوله لا سماعاً عند اجتماعي بأبي المحاسن، لعرضه قد برحت بي، وبلغت مني، لولاها لما تاونيت في سماعهما، وقد روى لنا الرئيس أبو عبد الله الثقفي كتاب (العزلة) عن أبي عمرو الرزجاني، عنه، وأنا أشك هل سمعته كاملاً أو بعضه؟ إلى أن قال السلفي: وحدث عنه أبو عبيد الهروي في كتاب (الغريبين)، فقال: أحمد بن محمد الخطابي، ولم يكنه.

ووافقته على ذلك أبو منصور الثعالبي في كتاب (اليتيمة) لكنه كناه.

وقال: أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم البستي صاحب (غريب الحديث)، والصواب في اسمه: حمد، كما قال الجم الغفير لا كما قالاه.

وقال: أحد الأدياء ممن أخذ عن ابن خرزاذ التجيمي: وهو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي من ولد زيد بن الخطاب، وله رحمه الله شعر هو سحر.

قلت: وله (شرح الأسماء الحسنى، وكتاب (الغنية عن الكلام وأهله)، وغير ذلك)

أخبرنا أبو الحسن، وشهدة، قالاً:

أخبرنا جعفر، أخبرنا السلفي، أخبرنا أبو المحاسن الروياني، سمعت أبا نصر البلخي، سمعت أبا سليمان الخطابي، سمعت أبا سعيد بن الأعرابي ونحن نسمع عليه هذا الكتاب - يعني:

(سنن أبي داود) - يقول:

لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب، لم يحتج معها إلى شيء من العلم بتة قال أبو يعقوب القراب: توفي الخطابي ببست، في شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة.

قلت: وفيها مات: محدث إسفرايين أبو النضر شافع بن محمد بن أبي عوانة الإسفراييني في عشر التسعين، ومحدث بروجرد القاضي أبو الحسين عبيد الله بن سعيد البروجردي في عشر المائة - يروي عن ابن جرير، والباغندي -، ومسنند بنيسابور أبو الفضل عبيد الله بن محمد الفامي، ومقرئ مصر أبو حفص عمر بن عراك الحضرمي، ومقرئ العراق أبو الفرج محمد

فأما أن يكون قد **يقبت**<sup>(٥)</sup> في النفوس نقبة بكونه معجزًا للخلق ممتنعًا عليهم الإتيان بمثله على حال فلا موضع لها، والأمر في ذلك أبين من أن نحتاج إلى أن ندل عليه بأكثر من الوجود القائم المستمر على وجه الدهر، من لدن عصر نزوله إلى الزمان الراهن الذي نحن فيه. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه وانقطعوا دونه. وقد بقى صلى الله عليه وسلم يطالهم به مدة عشرين سنة، مظهرًا لهم النكير، زارياً على أديانهم، مسقيهاً آراءهم وأحلامهم، حتى نبذوه وناصبوه الحرب فهلكت فيه النفوس، وأريقت المهج، وقُطعت الأرحام، وذهبت الأموال.

ولو كان ذلك في وسعهم وتحت أقدارهم لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة

ولم يركبوا تلك الفواقير المبيرة، ولم يكونوا تركوا السهل الدمث من القول إلى الحزن الوعر من الفعل، وهذا ما لا يفعله عاقل ولا يختاره ذولب. وقد كان قومه قريش خاصة موصوفين برزانة الأحلام، ووفارة العقول والألباب. وقد كان فيهم الخطباء المصاقع والشعراء المفلقون. وقد وصفهم الله تعالى في كتابه بالجدل واللدن فقال سبحانه: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] وقال سبحانه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٧٧]. فكيف كان يجوز - على قول العرب ومجرى العادة مع وقوع الحاجة ولزوم الضرورة - أن يغفلوه ولا يهتبلوا الفرصة فيه، وأن يضربوا صفحاً، ولا يحوزوا الفلح والظفر فيه لولا عدم القدرة عليه والعجز المانع منه. ومعلوم أن رجلاً عاقلاً لو عطش عطشاً شديداً خاف منه الهلاك على نفسه وبحضرتة ماء معرض للشرب فلم يشربه حتى هلك عطشاً [لحكمننا] أنه عاجز عن شربه غير قادر عليه. وهذا بين واضح لا يُشكل على عاقل.

قلت: وهذا - من وجوه ما قيل فيه - أبينها دلالة وأيسرها مؤونة. وهو مقنع لمن تنازعه نفسه مطالعة كيفية وجه

الإعجاز فيه. انتهى من كلامه ﷺ

بن أحمد الشنوبدي، وشيخ الأدب أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ببغداد، ومسنند مرو أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي الفقيه عن مائة عام، وعالم مصر أبو بكر محمد بن علي الأديوي المقرئ المفسر، ومحدث مكة أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن الدخيل.  
أخبرنا أحمد بن سلامة كتابة، عن عبد الغني بن سرور الحافظ، أخبرنا إسماعيل بن غانم، أخبرنا عبد الواحد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن أحمد البلخي، حدثنا حمد بن محمد، حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا أبو داود، حدثنا محمد بن حزابة، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا أسباط عن السدي، عن أبيه، عن أبي هريرة:  
عن النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن)  
وهو القائل:

وما غربة الإنسان في شقة النوى... ولكنها والله في عدم الشكل

وإني غريب بين بست وأهلها... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

(٥) الكلمة بها تصحيف في الأصل

## المبحث الثالث :- كان نصرانيا

نوضح هنا أولاً أننا لا يعيننا شخص بعينه، فهذا المبحث – إن شاء الله – هو مبحث عقدي في المقام الأول. والمتأمل لهذه الأفعال يجد أنها تدور بين اليهود والنصارى (أهل الكتاب) والملحدين والبوذيين والهندوس وغيرهم، ولكن عندما نتكلم عن أهل الكتاب نتعجب كيف أنهم يؤمنون بوجود الله ﷻ ويؤمنون بإرسال الرسل وإنزال الكتب من الله ﷻ ثم يكون هذا حالهم مع رسول الله ﷺ ومع القرآن الكريم، وأثار هذا مؤخرًا أن صاحب هذه الجريمة الشنعاء هذه المرة كان نصرانيا ثم أُلحد<sup>(٦)</sup>!

## المبحث الفرعي الأول :- اليهود والنصارى

يقول الله ﷻ في محكم التنزيل

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

أخرج ابن حبان في "صحيحه" (كتاب التاريخ، ذكر البيان بأن أهل الكتاب هم الذين ضلوا وغضب عليهم نعوذ بالله منهما) قال :- (أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّامِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَمَكَ بْنَ حَرْبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبَادَ بْنَ حُبَيْشٍ ، يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ بْنِ حَاتِمٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ : الْيَهُودُ ، وَالضَّالُّونَ : النَّصَارَى .) (٧)

## المبحث الفرعي الثاني :- إن علم يقينا جهلهم بكتيهم فجهلهم بالإسلام أولى

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]

في "موسوعة التفسير المأثور" (٨) في قول الله ﷻ

(وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ)

٢٥٤٨ - عن عبد الله بن عباس - من طريق أبي رزق، عن الضحاك - قال: الأُمِّيُّونَ قومٌ لم يُصَدِّقوا رسولاً أرسله الله، ولا كتاباً أنزله، فكتبوا كتاباً بأيديهم، ثم قالوا لقوم سَفِلةٍ جُهَّال: هذا من عند الله. وقال: قد أخبرهم أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أُمِّيِّينَ؛ لجحودهم كتب الله ورسله

٢٥٤٩ - عن إبراهيم النَّخَعِيِّ - من طريق منصور - في قوله: {ومِنْهُمْ أُمِّيُونَ لا يَعْلَمُونَ الكتاب}، قال: منهم مَنْ لا يُحْسِنُ أن يكتب

٢٥٥٠ - قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: {ومِنْهُمْ أُمِّيُونَ}، قال: أُمِّيُونَ لا يقرؤون الكتاب من اليهود

(لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ)

٢٥٥١ - عن عبد الله بن عباس - من طريق ابن إسحاق بسنده - في قوله: {ومِنْهُمْ أُمِّيُونَ لا يَعْلَمُونَ الكتاب}، قال: لا يعلمون ولا يَدْرُونَ

ما فيه

(٦) فرانس ٢٤، من هو سلوان موميكا مدنس القرآن ومثير غضب المسلمين؟

(٧) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٣٩ / ١٤) برقم: (٦٢٤٦) (كتاب التاريخ، ذكر البيان بأن أهل الكتاب هم الذين ضلوا وغضب عليهم نعوذ بالله منهما)

(٨) "موسوعة التفسير المأثور"، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المشرفون: أ.د. مساعد بن سليمان الطيار - د. نوح بن يحيى الشهرى، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات

القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي - دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ - ٢٠١٧

٢٥٥٤ - عن قتادة بن دعامة - من طريق مَعْمَر - في قوله: {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى}، قال: أمثال الهائم، لا يعلمون شيئاً

(إِلَّا أَمَانِيَّ)

٢٥٥٨ - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي بن أبي طلحة - في قوله: {إلا أمانى}، قال: إلا أحاديث.

٢٥٥٩ - عن عبد الله بن عباس - من طريق أبي رُوُق، عن الضحاك - في قوله: {إلا أمانى}، قال: إلا قولاً يقولون بأفواههم كذباً

٢٥٦٠ - عن أبي العالية - من طريق الربيع بن أنس - {إلا أمانى}، قال: يَتَمَنُّونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَيْسَ لَهُمْ

٢٥٦٣ - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن جُرَيْج - في قوله: {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب}، قال: ناس من يهود، لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله، ويقولون: هو من الكتاب، أمانى يَتَمَنُّونَهَا

**المبحث الفرعي الثالث :- تناقضات النصرانية تؤدي بهم إلى الإلحاد، فيظنون الإسلام كذلك**

نُفرد - إن شاء الله - المبحث التالي كاملاً لهذه النقطة

## المبحث الرابع :- النصرانية وملح من تناقضاتها

### المبحث الفرعي الأول :- التعريف<sup>(٩)</sup>

النصرانية لغة: قيل: نسبة إلى نصرانة، وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنسبة إلى الديانة نصراني، وجمعه نصارى.

النصرانية اصطلاحاً: هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابتهم الإنجيل. والمسيح ﷺ منهم براء. يقول الله ﷻ على لسان عيسى ﷺ

المائدة (١١٦ - ١١٧)

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهذا توبيخ للنصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فيقول الله هذا الكلام لعيسى. فيتبرأ عيسى ويقول: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ عن هذا الكلام القبيح، وعمّا لا يليق بك.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق أن أقول شيئاً ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية وإنما الجميع عباد، مدبرون، وخلق مسخرون، وفقراء عاجزون ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ فأنت أعلم بما صدر مني و ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ وهذا من كمال أدب المسيح عليه الصلاة والسلام في خطابه لربه، فلم يقل عليه السلام: "لم أقل شيئاً من ذلك وإنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزه ربه عن ذلك أتم تنزيهه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة.

ثم صرح بذكر ما أمر به بني إسرائيل، فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجرئ على عظمتك، ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي: ما أمرتهم إلا بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلهين من دون الله، وبيان أنني عبد مربوب، فكما أنه ربكم فهو ربي.

﴿وَكَُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أشهد على من قام بهذا الأمر، ممن لم يقم به.

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المطلع على سرائرهم وضمائرهم.

(٩) موسوعة الأديان، الباب الثالث: النصرانية وما تفرع عنها: الفصل الأول: النصرانية: التعريف والنشأة والتاريخ: المبحث الأول: التعريف



﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ علما وسمعا وبصرا، فعلمك قد أحاط بالمعلومات، وسمعك بالمسموعات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير وشر. انتهى من كلامه ﷺ

النصرانية:

هي الرسالة التي أنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكتملة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، و متممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى؛ لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية.

تطلق النصرانية على الدين المنزل من الله تعالى على عيسى عليه السلام، وكتابه الإنجيل

وأتباعها يقال لهم: (النصارى) نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين، وهي التي ولد فيها المسيح.

أو إشارة إلى صفة: وهي نصرهم لعيسى عليه السلام، وتناصرهم فيما بينهم. وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر، ثم أطلق عليهم كلهم على وجه التغليب. ويشهد لذلك قوله ﷺ ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٢]

#### المبحث الفرعي الثاني :- أصلها (١٠)

فالنصرانية في أصلها دين منزل من الله تعالى، لكنها غيرت وبدلت وحرّفت نصوصها، وتعددت أناجيلها، وتحول أتباعها عن التوحيد إلى الشرك (وذلك باعتراف مؤرخي النصرانية أنفسهم) ثم نسخت بالإسلام، فأصبحت باطلة؛ لتحريفها ولنسخها كاليهودية.

#### المبحث الفرعي الثالث :- نشأتها وتاريخها (١١)

النصرانية تعتبر امتداداً لليهودية؛ لأن عيسى عليه السلام أرسل إلى بني إسرائيل مجدداً في شريعة موسى عليه السلام، ومصححاً لما حرفه اليهود منها، وليحل لهم بعض الطبيبات التي حرّمت عليهم.

يقول الله ﷻ عن عيسى ﷺ

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَتَى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﷻ﴾

[آل عمران: ٤٨-٤٩]

(١٠) موسوعة الأديان، الباب الثالث: النصرانية وما تفرع عنها: الفصل الأول: النصرانية: التعريف والنشأة والتاريخ: المبحث الثاني: أصلها

(١١) موسوعة الأديان، الباب الثالث: النصرانية وما تفرع عنها: الفصل الأول: النصرانية: التعريف والنشأة والتاريخ: المبحث الرابع: نشأتها وتاريخها

## علاقتها باليهودية

الديانة النصرانية امتداد لليهودية، ومكملة لها؛ لأن عيسى عليه السلام- كما أسلفنا- جاء رسولا إلى بني إسرائيل، مصححا ما حرّفوه من الدين المنزل على موسى عليه السلام في التوراة، وليحل لهم بعض الطيبات التي حرّمت عليهم، ومبشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا يأتي من بعده. فقال ﷺ

﴿وَأَذَّ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٥١]

لكن غالب بني إسرائيل (اليهود) كذبوا عيسى عليه السلام، وأنكروا رسالته وحاربوا أتباعه، ولمّا رفعه الله إليه حرّفوا الدين الذي جاء به، وحاولوا طمسه بمكرهم ودسائسهم، ولم يمض ثلاثة قرون على الديانة النصرانية حتى تحوّلت تماما عن مسارها الصحيح المتمثل في التوحيد إلى الشرك المتمثل في التثليث، وتبدّلت نصوصها وأحكامها. كما فعلوا بدين موسى عليه السلام من قبل. فالنصرانية الحاضرة صنعة اليهود، تسير في ركابهم، لذلك نرى النصارى لا يزالون يعترفون بكتاب اليهود (التوراة)، ووصايا الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام رغم تحريف اليهود، ويسمونها (العهد القديم) بالإضافة إلى كتابهم الإنجيل المحرّف الذي يسمونه (العهد الجديد).

أما اليهود فهم ينكرون كل ما عدا التوراة، إلا ما ورد عن علماءهم ومفسريهم ويسمونه (التلمود)، وهو مقدم عندهم على التوراة. والنصارى يكفّرون اليهود؛ لتكذيبهم عيسى عليه السلام. واليهود يكفّرون النصارى؛ لأنهم يرونهم مبتدعين، ودينهم باطل؛ لأن عيسى عليه السلام بزعمهم ساحر كذاب.

قال الله تعالى عن الفريقين:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]

## أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

ويطلق على اليهود والنصارى معا (أهل الكتاب) إشارة إلى أن أديانهم سماوية منزلة من الله تعالى إليهم بكتاب. وأحيانا يطلق على أحدهما، والكتاب هو التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام. وقد ورد هذا الإطلاق في الكتاب والسنة.

ومع أن اليهود والنصارى (أهل الكتاب) يكفّر بعضهم بعضا إلا أنهم يجتمعون على الكيد للإسلام، والإضرار بالمسلمين. وقد ذكر الله عنهم ذلك في أكثر من آية، قال الله ﷻ

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٧٥]

وقال ﷺ

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرِفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]

والذين كفروا من أهل الكتاب هم من لم يسلم من اليهود والنصارى. أخرج مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ) قال :- ( حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ : وَأَخْبَرَنِي عَمْرُو أَنَّ أَبَا يُونُسَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ . ) (١٢)

وأهل الكتاب مكلفون بإقامة التوراة والإنجيل معا، لكنهم كفروا بهما، قال ﷺ

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّى تُتْقِنُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ طُعِينًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]

ومن إقامة التوراة والإنجيل: الإيمان بمحمد ﷺ حيث بشرت به هذه الكتب، واتباع الإسلام الذي نسخ ما قبله من الأديان.

#### المبحث الفرعي الرابع :- ملمح من تناقضاتها (١٣)

الصاحبة والولد

هل ما تعتقده النصرانية من زعم بأن الإله عبارة عن ثلاث أقانيم من إله أب وإله ابن وإله متمثل في الروح القدس، يعني أن السيدة مريم، والدة المسيح (الذي تزعم النصرانية ألوهيته، وأنه الإله الابن)، هي زوجة الله؟! أم أن والدا المسيح لم يكونا متزوجين؟!

قال الله ﷻ

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[الأنعام: ١٧]

عقيدة الخلاص

في توضيح تناقض عقيدة الخلاص، والتي تتمثل في صلب المسيح وموته تكفيراً لذنوب البشر، فإننا نثير تساؤلاً بسيطاً، وهو:

- لماذا كان من الضروري أن يصنع الله بشراً ثم يُصلب ويموت تكفيراً لذنوب البشر؟
- ألم يكن الله قادراً على أن يُكفر ذنوب البشر دون الحاجة إلى مثل تلك الأوهام والظنون، التي لا تغني من الحق شيئاً؟
- لا سيما وأن الله ﷻ هو الذي أعلمنا بأنه هو من يغفر الذنوب ويتوب على العباد إذا ما رجعوا وأنابوا إليه واستغفروه.
- والتساؤل المهم: أنه إذا ما علمهم المسيح ذلك من أجل أن يغفر الله خطاياهم ويكفر عنهم ذنوبهم، فكيف يكون مات تكفيراً لخطاياهم؟

(١٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١/ ٩٣) برقم: (١٥٣) (كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته).

(١٣) بشارة المسيح ﷺ ، تناقض عقيدة الخلاص وطلان توارث الخطيئة في المسيحية

- وماذا عن كبائر الذنوب والمعاصي والمحرمات التي قد ارتكبتها البشرية من بعده (من بعد صلبه وقتله، كما تدعي النصرانية)؟
  - فهل تحتاج إلى أن يصلب المسيح وأن يُقتل مرة أخرى، تبعاً لاعتقاد النصرانية بصلبه وقتله تكفيراً لذنوب آدم وذريته من بعده؟
  - أو أننا نحتاج إلى مسيح آخر ينسب إليه الألوهية، ليؤدي نفس الدور، ونفس العصمة التي قد قام بها المسيح في النصرانية، من أن يُضحي بنفسه ليُصلب ويُقتل تكفيراً لذنوب آدم وذريته من بعده، في قصة أخرى موهومة لذلك الفداء المزعوم.
- ونختم هذه النقطة بتعليقات لتوضيح التناقض الجلي بين ما تدعو إليه النصرانية من إدعاء بفكرة توارث الخطيئة وبين ما ينص عليه كتابها الذي بين يديها، من الرفض لتلك الفكرة المدعاة، وهي:

أنا نجد أن في (سفر التثنية ٢٤: ١٦): # لا تُقتلُ الآباء عن الأولاد، ولا يُقتلُ الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يُقتل #

وفي (حزقيال ٨: ٢٠): # النفس التي تخطئ هي تموت، والابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، برُّ البار عليه يكون، وشرُّ الشرير عليه يكون #

#### قضية الفداء المزعوم

قضية الفداء المزعوم، التي تزعم أن الإله الابن قدّم نفسه للإهانة والصلب والقتل على أيدي اليهود، من أجل التكفير عن ذنب آدم ﷺ حيث أكل من الشجرة المنهي عنها، وتكفير ذنب ذريته من بعده لتوارثهم خطيئته.

- حيث إن طبيعة الابن المزعوم (الذي تدعي النصرانية أنه ابن الله) إما قابلة للموت أو غير قابلة للموت.
- فإذا كانت طبيعته قابلة للموت، إذن فهو ليس بإله، ومن ثم لا تصح الدعوى بأنه إلهًا وفاديًا في نفس الوقت.
- وإن كانت طبيعة الابن المزعوم غير قابلة للموت لكونه إلهًا، فلم يقع عليه الموت، ومن ثم لم يكن هناك فداء أو أي من تلك الأوهام.

ونجد أيضًا: أن النصرانية قد جعلت الإله الأب الذي تزعمه إلهًا متشددًا وقاسيًا، لا يصفح ولا يعفو، كما في خطيئة آدم، وعاجزًا عن حلّ مشكلته.

ومن جهة أخرى، فقد جعلت النصرانية الإله الابن الذي تدعيه مُحبًا للبشر، وفاديًا لهم، وجود بذاته من أجلهم، على الرغم من أنها (النصرانية) تزعم أنه في الأصل منبثق من الأب.

تعالى الله ﷻ عن مثل ذلك الذي تدعيه النصرانية علوًا كبيرًا.

فلقد اشتمل معتقد النصرانية على التناقض في فكرة الألوهية نفسها. فبينما يوصف الإله بأنه هو الخالق، نجد أنها تنسب إليه الولد. وهل يكون الولد إذن إلا مخلوقًا، منتفياً عنه صفة الألوهية، مجارة لزعم النصرانية وإدعاءها، حيث إن الله سبحانه وتعالى أجّل من أن يتخذ ولدًا.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾

[النساء: ٤٨]

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

﴿٥٢﴾ [الزمر: ٥٢]

واحد أم ثلاثة؟

وبينما يُقال: إن الإله واحد، نجد أن النصرانية تقول: إنه مكون من ثلاثة أقانيم، الأب والابن والروح القدس، ولا شك أن في ذلك مُناكرة للضروريات، حيث أثبتوا آلهة ثلاثة، ثم جعلوا الآلهة الثلاثة إلهاً واحداً، ومن جعل الثلاثة واحداً، والواحد ثلاثة، فقد خرج عن حد المعقول وباهت ضرورياته.

الإخلاص (١ - ٤)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾

[الإخلاص: ١-٤]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) رحمه الله في "تفسيره" :-

أي {قُلْ} قولاً جازماً به، معتقداً له، عارفاً بمعناه، {هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

{اللَّهُ الصَّمَدُ} أي: المقصود في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي [كمل في رحمته الذي] وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، ومن كماله أنه {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} لكمال غناه {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى.

فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات. انتهى من كلامه رحمه الله

النحل (٥١)

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ﴾ [النحل: ٥١]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) رحمه الله في "تفسيره" :-

يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له، ويستدل على ذلك بانفراده بالنعم والوحدانية فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: تجعلون له شريكاً في إلهيته، وهو ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ متوحد في الأوصاف العظيمة متفرد بالأفعال كلها. فكما أنه الواحد في ذاته وأسمائه ونعوته وأفعاله، فلتوحدوه في عبادته، ولهذا قال: ﴿فَإِنِّي فَارَهُبُونَ﴾ أي: خافوني وامثلوا أمري، واجتنبوا نبي من غير أن تشركوا بي شيئاً من المخلوقات، فإنها كلها لله تعالى مملوكة. انتهى من كلامه رحمه الله

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ نَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرِ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٢-٧٧]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

يخبر تعالى عن كفر النصارى بقولهم: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} بشبهة أنه خرج من أم بلا أب، وخالف المعهود من الخلقة الإلهية، والحال أنه عليه الصلاة والسلام قد كذبهم في هذه الدعوى، وقال لهم: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} فأثبت لنفسه العبودية التامة، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق.

{إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ} أحدا من المخلوقين، لا عيسى ولا غيره. {فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} وذلك لأنه سوى الخلق بالخالق، وصرف ما خلقه الله له - وهو العبادة الخالصة - لغير من هي له، فاستحق أن يخلد في النار.

{وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} ينقدونهم من عذاب الله، أو يدفعون عنهم بعض ما نزل بهم.

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ} وهذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم، زعموا أن الله ثالث ثلاثة: الله، وعيسى، ومريم، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

وهذا أكبر دليل على قلة عقول النصارى، كيف قبلوا هذه المقالة الشنعاء، والعقيدة القبيحة؟! كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين؟! كيف خفي عليهم رب العالمين؟! قال تعالى -رادا عليهم وعلى أشباههم -: {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} متصف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، منفرد بالخلق والتدبير، ما بالخلق من نعمة إلا منه. فكيف يجعل معه إله غيره؟ " تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ثم توعدهم بقوله: {وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

ثم دعاهم إلى التوبة عما صدر منهم، وبين أنه يقبل التوبة عن عباده فقال: {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ} أي: يرجعون إلى ما يحبه ويرضاه من الإقرار لله بالتوحيد، وبأن عيسى عبد الله ورسوله، عما كانوا يقولونه {وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ} عما صدر منهم {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} أي: يغفر ذنوب التائبين، ولو بلغت عنان السماء، ويرحمهم بقبول توبتهم، وتبديل سيئاتهم حسنات.

وصدر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو غاية اللطف واللين في قوله: {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ}.

ثم ذكر حقيقة المسيح وأمه، الذي هو الحق، فقال: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} أي: هذا غايته ومنتهاى أمره، أنه من عباد الله المرسلين، الذين ليس لهم من الأمر ولا من التشريع، إلا ما أرسلهم به الله، وهو من جنس الرسل قبله، لا مزية له عليهم تخرجه عن البشرية إلى مرتبة الربوبية.

{وَأُمُّهُ} مريم {صِدِّيقَةٌ} أي: هذا أيضا غايتها، أن كانت من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء. والصديقية، هي العلم النافع المثمر لليقين، والعمل الصالح. وهذا دليل على أن مريم لم تكن نبيه، بل أعلى أحوالها الصديقية، وكفى بذلك فضلا وشرفا. وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبيه، لأن الله تعالى جعل النبوة في أكمل الصنفين، في الرجال كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ} فإذا كان عيسى عليه السلام من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وأمه صديقة، فلا شيء اتخذهما النصرارى إلهين مع الله؟

وقوله: {كَانَا يَا كَلَانَ الطَّعَامَ} دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران، محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغني الحميد.

ولما بين تعالى البرهان قال: {انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنُ لَهُمُ الْآيَاتِ} الموضحة للحق، الكاشفة لليقين، ومع هذا لا تفيد فيهم شيئا، بل لا يزالون على إفكهم وكذبهم وافتراءهم، وذلك ظلم وعناد منهم.

{قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.}

أي: {قُلْ} لهم أيها الرسول: {أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} من المخلوقين الفقراء المحتاجين، {ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا} وتدعون من انفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع، {والله هو السميع} لجميع الأصوات باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

{العليم} بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة، والأمر الماضي والمستقبل، فالكامل تعالى الذي هذه أوصافه هو الذي يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، ويخلص له الدين.

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ} أي: لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل، وذلك كقولهم في المسيح، ما تقدم حكايته عنهم.

وكغلوهم في بعض المشايخ، اتباعا لـ {أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ} أي: تقدم ضلالهم.

{وَأَضَلُّوا كَثِيرًا} من الناس بدعوتهم إياهم إلى الدين، الذي هم عليه. {وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} أي: قصد الطريق، فجمعوا بين الضلال والإضلال، وهؤلاء هم أئمة الضلال الذين حذر الله عنهم وعن اتباع أهوائهم المردية، وآرائهم المضلة. انتهى من كلامه ﷺ

التوبة (٣٠ - ٣١)

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا

إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣٠-٣١]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب، ذكر من أقوالهم الخبيثة، ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينه على قتالهم، والاجتهاد وبذل الوسع فيه فقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} وهذه المقالة وإن لم تكن مقالة لعامتهم فقد قالها فرقة منهم، فيدل ذلك على أن في اليهود من الخبث والشراً ما أوصلهم إلى أن قالوا هذه المقالة التي تجرأوا فيها على الله، وتنقصوا عظمته وجلاله.

وقد قيل: إن سبب ادعائهم في {عزير} أنه ابن الله، أنه لما سلب الله الملوك على بني إسرائيل، ومزقوهم كل ممزق، وقتلوا حملة التوراة، وجدوا عزيراً بعد ذلك حافظاً لها أو لأكثرها، فأملأها عليهم من حفظه، واستنسخوها، فادعوا فيه هذه الدعوى الشنيعة.

{وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ} عيسى ابن مريم {ابْنُ اللَّهِ} قال الله تعالى {ذَلِكَ} القول الذي قالوه {قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} لم يقيموا عليه حجة ولا برهاناً. ومن كان لا يبالي بما يقول، لا يستغرب عليه أي قول يقوله، فإنه لا دين ولا عقل، يحجزه، عما يريد من الكلام.

ولهذا قال: {يُضَاهَهُنَّ} أي: يشابهون في قولهم هذا {قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} أي: قول المشركين الذين يقولون: "الملائكة بنات الله" تشابهت قلوبهم، فتشابهت أقوالهم في البطلان.

{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يُؤْفَكُونَ} أي: كيف يصرفون عن الحق، الصراف الواضح المبين، إلى القول الباطل المبين.

وهذا وإن كان يستغرب على أمة كبيرة كثيرة، أن تتفق على قول- يدل على بطلانه أدنى تفكير وتسليط للعقل عليه، فإن لذلك سبباً وهو أنهم: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ} وهم علماءهم {وَرُهبَانَهُمْ} أي: العباد المتجردين للعبادة.

{أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} يُحْلُونَ لهم ما حرم الله فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها. وكانوا أيضاً يغفلون في مشايخهم وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثاناً تعبد من دون الله، وتقصد بالذبايح، والدعاء والاستغاثة.

{وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} اتخذوه إلهاً من دون الله، والحال أنهم خالفوا في ذلك أمر الله لهم على السنة رسله فما {أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} فيخلصون له العبادة والطاعة، ويخصونه بالمحبة والدعاء، فنبدوا أمر الله وأشركوا به ما لم ينزل به سلطاناً.

{سُبْحَانَهُ} وتعالى {عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي: تنزهه وتقدس، وتعالى عظمته عن شركهم وافترائهم، فإنهم ينتقصونه في ذلك، ويصفونه بما لا يليق بجلاله، والله تعالى العالی في أوصافه وأفعاله عن كل ما نسب إليه، مما ينافي كماله المقدس. انتهى من كلامه ﷺ

أخرج الترمذي في "جامعه" ( أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ومن سورة التوبة ) قال :- ( حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَزِيدَ الْكُوفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ ، عَنْ غُطَيْفِ بْنِ أَعْيَنَ ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ : يَا عَدِيُّ ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَتْنَ . وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءةَ : { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ .

هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبٍ ، وَغُطَيْفِ بْنِ أَعْيَنَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فِي الْحَدِيثِ . ( ١٤ )

(١٤) أخرجه الترمذي في "جامعه" (١٧٣/٥) برقم: (٣٠٩٥) ( أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ، باب ومن سورة التوبة )



## المبحث الخامس :- ثم أَلحد

لقد رأى الملحدون الكثير من آيات الله تعالى في الكون، وفي أنفسهم؛ من إحكام ودقة في الخلق؛ ما يشهد بوجوده، وأنه هو الخالق الحكيم؛ مصداقاً لما أنزل الله ﷻ في القرآن الكريم

فصلت (٥٢ - ٥٤)

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٢-٥٤]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷻ في "تفسيره" :-

أي {قُلْ} لهؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران {أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ} هذا القرآن {مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} من غير شك ولا ارتياب، {ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ} أي: معاندة لله ولرسوله، لأنه تبيين لكم الحق والصواب، ثم عدلتم عنه، لا إلى حق، بل إلى باطل وجهل، فإذا تكونون أضل الناس وأظلمهم.

فإن قلت، أو شككتكم بصحته وحقيقته، فسيقم الله لكم، ويريك من آياته في الأفاق كالأيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق.

{وَفِي أَنْفُسِهِمْ} مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلثات في المكذبين، ونصر المؤمنين. {حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ} من تلك الآيات، بياناً لا يقبل الشك {أَنَّهُ الْحَقُّ} وما اشتمل عليه حق.

وقد فعل تعالى، فإنه أرى عباده من الآيات، ما به تبيين لهم أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، والخاذل لمن يشاء.

{أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، ومن جاء به صادق، بشهادة الله تعالى، فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو أصدق الشاهدين، وأيده، ونصره نصرًا متضمنًا لشهادته القولية، عند من شك فيها.

{أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ} أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم دار سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للأخرة، ولم يلتفتوا لها. {أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ} علما وقدرة وعزة. انتهى من كلامه ﷻ

## النمل (١٤)

ولكنهم أثروا الإنكار والجحود، مع يقينهم بوجود الله ﷻ الخالق العظيم؛ كما في قوله ﷻ :

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

وَجَحَدُوا بِهَا أَي: كفروا بآيات الله جاحدين لها، وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ أَي: ليس جحدهم مستندا إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم ويقينهم بصحتها ظلماً منهم لحق ربهم ولأنفسهم، وَعَلَوْا عَلَى الْحَقِّ وَعَلَى الْعِبَادَةِ وَعَلَى الْإِنْقِيَادِ لِلرَّسْلِ، فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ أَسْوَءَ عَاقِبَةٍ دَمَرَهُمُ اللَّهُ وَأَغْرَقَهُمْ فِي الْبَحْرِ وَأَخْزَاهُمْ وَأَوْرَثَ مَسَاكِنَهُمُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ عِبَادِهِ. انتهى من كلامه ﷺ

فكان ذلك الجحود والإنكار نتيجة كبرهم واستعلائهم، وسيطرة أهوائهم وشهواتهم على عقولهم وأفعالهم.

الطور (٣٥ - ٣٦)

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: (٣٥-٣٦)]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم.

وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال.

أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم

فإذا بطل [هذان] الأمران، وبان استحالتهما، تعين [القسم الثالث] أن الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وهذا استفهام يدل على تقرير النفي أي: ما خلقوا السماوات والأرض، فيكونوا شركاء لله، وهذا أمر واضح جدا. ولكن المكذبين ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: ليس عندهم علم تام، ويقين يوجب لهم الانتفاع بالأدلة الشرعية والعقلية. انتهى من كلامه ﷺ

#### تنبيه

والمقام في تناقضات النصراري والملحدين وأخطائهم ليس مقام البسط، إنما هو مقام بيان طرف من عوار القوم مجملا، وبيان بعض مشاكل كل من ابتعد عن الإسلام عموما، ومشاكل النصراري خصوصا والتي تؤول بكثير منهم إلى الإلحاد، فيظنون أن الإسلام يُعاني نفس العوار ولا حول ولا قوة إلا بالله، يُسقطون ما يعانونه من تناقضات مع دينهم المحرف على الإسلام العظيم، تناقضات تخالف النقل والعقل، فيؤول بهم الأمر إلى الإلحاد ولا حول ولا قوة إلا بالله، كما حدث مع مرتكب هذه الجريمة هذه المرة، كان نصرانيا، ثم ألحد، فبدلا من أن يناقش تناقضاتهم ويبحث كيف أن الإسلام جاء واضحا موضحا كاشفا لكل هذه التناقضات، بعقيدة يقبلها كل عاقل، ترسخ - بفضل الله ﷻ وحده - حتى لدى الأطفال، فضلا عن الشيوخ والكبار، لأنها عقيدة تنزه الله ﷻ عن كل نقص، وتعطي كل ذي حق حقه، تعرف لله ﷻ الخالق البارئ المصور قدره، وتعرف لجميع الأنبياء والرسل قدرهم، من أنهم عباد اختصهم الله ﷻ عن علم وحكمة بفضل عظيم، هو مقام النبوة والعبودية، فيأتي الإسلام بعقيدة وبشريعة لا تناقض فيها ولا عوار، واضحة

جلية كالشمس في عين النهار، فيحاولون من جهلهم وجحودهم أن يرموا الإسلام العظيم بدائمهم، وما هذا إلا الجهل والكذب، الحمد لله على نعمة الإسلام، وعلى نعمة القرآن، وعلى نعمة إرسال نبينا محمد ﷺ وعلى أن جعلنا من أهل الإسلام

## المبحث السادس - لم تؤثر فيه سنين عمره وعشرته للمسلمين في بلده

للأسف قد تغيب هذه النقطة عن ذهن الكثيرين، نظرا لما يؤدي إليه طول المعاملة مع غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية في العصور الحالية من تمييع لقضية عقدية رئيسية، ألا وهي (الولاء والبراء) وهو الأمر الذي نبّه الله ﷻ عليه في القرآن الكريم في عدة مواضع يأتي ذكرها- إن شاء الله - وفي حقيقة الأمر فإن الفيصل عند القوم هي (العقيدة) ولا شيء غيرها، ولم ولن تؤثر سنين العشرة تأثيرا حقيقيا فعليا، حتى وإن ظهر بعض الحنين أو المشاعر المؤقتة أو الأفعال الإنسانية الطارئة في بعض المواقف والتي يوجد مثلها عند الحيوانات كما هي عند الإنسان، إلا أن المرجع هو العقيدة، ومن تأمل أحداث يوغوسلافيا في نهايات القرن الماضي (١٥) (١٦) يجد هذا واضحا جليا. (١٧)

وهذا في الحقيقة مما يدفع المهتمين بأمر هذا الأمة إلى الحزن والأسف الشديد، أن أعداءها ولا حول ولا قوة إلا بالله، يتحركون عن اعتقاد وبعثاد، وجمّع كثير من أمة نبينا محمد ﷺ لا يتحركون عن اعتقاد ولكن للأسف أثّر عليهم الدين الجديد الذي يُرَوِّجُ له منذ فترة طويلة ألا وهو (دين الإنسانية) فتجد في هذه الحادثة أن من كان نصرانيا من أصول عربية ثم أُلْحِدَ يُقَدِّمُ على حرق القرآن الكريم بعد أن قضى عُمره كلّهُ في هذه الدولة العربية مع المسلمين على نصرانيتها، وهو يعلم جيدا تعظيم المسلمين وتقديسهم لكلام الله ﷻ القرآن الكريم (١٨)، فكيف بعد كل هذه العشرة والتي تؤثر في الجماد (١٩) يُقدم على هذا؟ الجواب ببساطة هو الاعتقاد. والغريب أن أولى الناس باعتقاد بطلان دين الإنسانية هم المسلمون، الذين يترسخ لديهم بوضوح عقيدة الولاء والبراء في مواضع عديدة في القرآن الكريم وفي سنة نبينا محمد ﷺ ومن يظن أن هذه حوادث فردية غير مُمنهجة أو مُعبرة عن اعتقاد القوم فلا بد أن يراجع نفسه ويتأمل سير الأحداث جيدا، كيف أنه في العهد القريب كان يتم استنكار هذا الحدث وإيقافه، مثل ما حدث مع القس تيري جونز الذي حاول تخصيص يوم لحرق القرآن، ولكنه لم يفعل بعد تعرضه للنقد والهجوم من مختلف الهيئات الدينية والحكومية. (٢٠) ثم أصبح الأمر في غضون عشر سنين أو أكثر قليلا مُباحا متكررا، بل مدعوما بالقوانين والتصاريف اللازمة وتحت حماية الشرطة لتكون الجريمة يوم عيد الأضحى بعد صلاة العيد مباشرة أثناء خروج أكبر تجمع من المسلمين من صلاتهم أمام المسجد الكبير التابع للمركز الإسلامي في العاصمة السويدية، ولا يستطيع مسلم أن يحرك ساكنا بأكثر من صياح العجز ولا حول ولا قوة إلا بالله، وللعلم فإن القانون السويدي يسمح بتغيير الموعد والمكان المُقدَّمان في التصريح ولا يستطيع رفض التصريح، وهذا بالطبع تبعاً لزعيمهم المكذوب أنهم لا يستطيعون رفض الطلب وفقاً للقانون الخاص بهم، والذي نتمنى أن يُقدِّس المسلمون كتاب الله ﷻ القرآن الكريم، وسنة نبينا محمد ﷺ وشريعة الله ﷻ كما يُقدِّس هؤلاء القوم قوانينهم الوضعية الكُفْرية مع الفارق بالطبع بين ما هو وحي من الله ﷻ وما هو من وحي الشيطان، يقول الله ﷻ ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ٣١] فهم جعلوا وحي شياطينهم قوانين يلتزمون بها، ومع الفارق بين تقديس ما قدَّسه الله ﷻ وتعبُّد الله ﷻ وبين تقديسهم قوانينهم لتسيير أمور دنياهم ولا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون. والمتأمل أيضا يجد أن قوانين معاداة السامية لا تسمح بمثل

(١٥) حرب البوسنة والهرسك (ويكيبيديا)

(١٦) مذبحه سربرنيتسا (ويكيبيديا)

(١٧) أحمد منصور يهجم بطرس غالي بالمسؤولية عن مذابح المسلمين في البوسنة والهرسك

(١٨) إحراق القرآن الكريم في السويد (ويكيبيديا)

(١٩) أخر البخاري في "صحيحه" قال :- ( حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ كَثِيرٍ أَبُو غَسَّانَ حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ وَأَسْمُهُ عُمَرُ بْنُ الْعَلَاءِ أَخُو أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ قَالَ سَمِعْتُ نَافِعًا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِلَى جُدْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمُتَبَرِّحُ تَحْوَلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الْجُدْعُ فَأَنَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ عَبْدُ الْخَمِيدِ أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ الْعَلَاءِ عَنْ نَافِعٍ هَذَا . وَرَوَاهُ أَبُو عَاصِمٍ عَنِ ابْنِ أَبِي رَوَّادٍ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٩٥) برقم: (٣٥٨٣) (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام)

(٢٠) حرق القرآن (موسوعة معرفة)

هذه الجريمة مع التوراة، بينما يتم السماح بهذه الجريمة مع القرآن الكريم، لأنه بالنسبة لهم كتاب عادي، فلا يتجاوز ما تم عندهم بالنسبة لكلام الله ﷻ القرآن الكريم ما يمكن أن يتم مثله مع أي كتاب عادي ولا حول ولا قوة إلا بالله ﷻ، فأني رسالة أوضح من هذا ليتبين المسلمون أن الأمر كله نابع من (الاعتقاد)؟ لا بد من العودة إلى اعتقادنا الصحيح لتتعلم كيف نتعامل مع القوم ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونحاول إن شاء الله أن نستقرئ من كتاب ربنا ﷻ تعاليم الله ﷻ حتى يزول الإشكال عند من أشكلت عليه المفاجأة، وحتى لا يُشكَل عليه إن أقدم آخراً ممن يعيش بين المسلمين على مثل هذه الجريمة النكراء<sup>(١١)</sup> أو قريبا منها ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله ﷻ أن يردنا إلى دينه ردا جميلا.

## آل عمران (١١٨)

يقول الله ﷻ في مُحكم التنزيل

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوًا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتِ أَلْبَعَضَاءُ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ ءَأُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَأَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْآنَامِلَ مِّنَ الْعَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: ١١٨-١١٩]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷻ في "تفسيره" :-

ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين من أهل الكتاب وغيرهم يظهر عنهم على سرائرهم أو يولونهم بعض الأعمال الإسلامية وذلك أنهم هم الأعداء الذين امتلأت قلوبهم من العداوة والبغضاء فظهرت على أفواههم {وما تخفي صدورهم أكبر} مما يسمع منهم فهذا {لا يألونكم خبالا} أي: لا يقصرون في حصول الضرر عليكم والمشقة وعمل الأسباب التي فيها ضرركم ومساعدة الأعداء عليكم قال الله للمؤمنين {قد بينا لكم الآيات} أي: التي فيها مصالحكم الدينية والدنيوية {لعلكم تعقلون} فتعرفونها وتفرقون بين الصديق والعدو، فليس كل أحد يجعل بطانة، وإنما العاقل من إذا ابتلي بمخالطة العدو أن تكون مخالطة في ظاهره ولا يطلعه من باطنه على شيء ولو تملق له وأقسم أنه من أوليائه.

قال الله مهيجا للمؤمنين على الحذر من هؤلاء المنافقين من أهل الكتاب، ومبينا شدة عداوتهم {هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله} أي: جنس الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه وهم لا يؤمنون بكتابكم، بل إذا لقوكم أظهروا لكم الإيمان {وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل} وهي أطراف الأصابع من شدة غيظهم عليكم {قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور} وهذا فيه بشارة للمؤمنين أن هؤلاء الذين قصدوا ضرركم لا يضرهم إلا أنفسهم، وإن غيظهم لا يقدرهم على تنفيذه، بل لا يزالون معذبين به حتى يموتوا فيتنقلوا من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة.

{إن تمسككم حسنة} كالنصر على الأعداء وحصول الفتح والغنائم {تسوهم} أي: تغمهم وتحزنهم {وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط} فإذا أتيتم بالأسباب التي وعد الله عليها النصر - وهي الصبر

<sup>(١١)</sup> روسيا اليوم، المصري مدنس القرآن في روسيا مرتد عن الإسلام.. والحكومة الروسية تعاقبه

والتقوى- لم يضركم مكرهم، بل يجعل الله مكرهم في نحورهم لأنه محيط بهم علمه وقدرته فلا منفذ لهم عن ذلك ولا يخفى عليهم منهم شيء. انتهى من كلامه ﷺ

#### النساء (١١٤)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١١٤﴾﴾

[النساء: ١١٤]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره"

لما ذكر أن من صفات المنافقين اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نهى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة، وأن يشابهوا المنافقين، فإن ذلك موجب لأن ﴿تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أي: حجة واضحة على عقوبتكم، فإنه قد أندرنا وحدرنا منها، وأخبرنا بما فيها من المفسد، فسلوكها بعد هذا موجب للعقاب. وفي هذه الآية دليل على كمال عدل الله، وأن الله لا يُعَذِّب أحدا قبل قيام الحجة عليه، وفيه التحذير من المعاصي؛ فإن فاعلها يجعل الله عليه سلطانا مبينا. انتهى من كلامه ﷺ

#### المائدة (٥١ - ٥٢)

﴿\* يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ خَشِيَ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥١-٥٢]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره"

يرشد تعالى عباده المؤمنين حين بيّن لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة، أن لا يتخذوهم أولياء. فإن بعضهم أولياء بعض يتناصرون فيما بينهم ويكونون يدا على من سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء، فإنهم الأعداء على الحقيقة ولا يبالون بضرركم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئا على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم. والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئا فشيئا، حتى يكون العبد منهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الذين وصفهم الظلم، وإليه يرجعون، وعليه يعولون. فلو جئتهم بكل آية ما تبعوك، ولا انقادوا لك.

ولما نهى الله المؤمنين عن توليهم، أخبر أن ممن يدعي الإيمان طائفة تواليهم، فقال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: شك ونفاق، وضعف إيمان، يقولون: إن تولينا إياهم للحاجة، فإننا ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ أي: تكون الدائرة لليهود والنصارى، فإذا كانت الدائرة لهم، فإذا لنا معهم يد يكافؤنا عنها، وهذا سوء ظن منهم بالإسلام، قال تعالى -رادا لظنهم السيئ-: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ الذي يعز الله به الإسلام على اليهود والنصارى، ويقهرهم المسلمون ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ يبأس به المنافقون من ظفر الكافرين من اليهود وغيرهم ﴿فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا﴾ أي: أضمروا ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ على ما كان منهم وضرهم بلا نفع حصل لهم، فحصل الفتح الذي نصر الله به الإسلام والمسلمين، وأذل به الكفر والكافرين، فندموا وحصل لهم من الغم ما الله به عليم.

انتهى من كلامه ﷺ

## المائدة (٥٧)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

[المائدة: ﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره"

ينهى عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن سائر الكفار أولياء يحبونهم ويتولونهم، ويبدون لهم أسرار المؤمنين، ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين، وأن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم، وكذلك التزامهم لتقوى الله التي هي امتثال أوامره واجتناب زواجره مما تدعوهم إلى معاداتهم، وكذلك ما كان عليه المشركون والكفار المخالفون للمسلمين، من قدحهم في دين المسلمين، واتخاذهم إياه هزوا ولعبا، واحتقاره واستصغاره، خصوصا الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين، وأجل عباداتهم، إنهم إذا نادوا إليها اتخذوها هزوا ولعبا، وذلك لعدم عقلهم ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تتصف بها النفوس. فإذا علمتم -أيها المؤمنون- حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم، فمن لم يعادهم بعد هذا دل على أن الإسلام عنده رخيص، وأنه لا يبالي بمن قدح فيه أو قدح بالكفر والضلال، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية شيء. فكيف تدعي لنفسك دينا قيما، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بموالاته من اتخذ هزوا ولعبا، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟! وهذا فيه من التهيب على عداوتهم ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم. انتهى من كلامه ﷺ

## التوبة (٢٣-٢٤)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ﴿٢٣﴾-﴿٢٤﴾]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره"

يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اعملوا بمقتضى الإيمان، بأن توالوا من قام به، وتعادوا من لم يقم به.

و ﴿لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ﴾ الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم ﴿أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ أي: اختاروا على وجه الرضا والمحبة ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم تجرؤوا على معاصي الله، واتخذوا أعداء الله أولياء، وأصل الولاية: المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء، موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله، ومحبتهم على محبة الله ورسوله.

ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما فقال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ ومثلهم الأمهات ﴿وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾ في النسب والعشرة ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أي: قراباتكم عمومًا ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي: اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصا عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كد.

﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ أي: رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك.

﴿وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا﴾ من حسنها وزخرفتها وموافقها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ فأنتم فسقة ظلمة.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ الذي لا مرد له.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئا من المذكورات.

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله.

وعلاوة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيها هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُؤْتِ عَلَيْهِ مَحْبُوبًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه. انتهى من كلامه ﷺ

## المجادلة (٢٢)

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

يقول تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمنا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملا على مقتضى الإيمان ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه.

وهذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه وثبته وغرسه غرسا، لا يتزلزل، ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك.

وهم الذين قواهم الله بروح منه أي: بوحيه، ومعونته، ومدده الإلهي وإحسانه الرباني.



وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنات النعيم في دار القرار، التي فيها من كل ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين، وتختار، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ووافر المثوبات، وجزيل الهبات، ورفيع الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا فوقه نهاية وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو مع ذلك مواد لأعداء الله، محب لمن ترك الإيمان وراء ظهره، فإن هذا إيمان زعبي لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى، لا تفيد شيئاً ولا يصدق صاحبها. انتهى من كلامه ﷺ في "موسوعة التفسير بالمأثور"

نزول الآية:

٧٦٠٦٨ - قال إسماعيل السدي: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سُلُوبٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَاءَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَبْقَيْتَ فَضْلَهُ مِنْ شَرَابِكَ. قَالَ: «فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟». قَالَ: أَسْقِيهَا أَبِي؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَطَهِّرُ بِهَا قَلْبَهُ. فَأَفْضَلَ لَهُ، فَأَتَى بِهَا أَبَاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: هِيَ فَضْلَةٌ مِنْ شَرَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جِئْتُكَ بِهَا لِتَشْرِبَهَا؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَطَهِّرُ قَلْبَكَ بِهَا. فَقَالَ أَبُوهُ - لَعْنَهُ اللَّهُ -: هَلَّا جِئْتَنِي بِبَوْلِ أُمِّكَ، فَإِنَّهُ أَطَهَّرَ مِنْهُ! فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِاللَّهِ إِلَّا أَذْنَتُ لِي فِي قَتْلِ أَبِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ تَرَفَّقَ بِهِ، وَتُحَسِّنَ إِلَيْهِ».

٧٦٠٦٩ - قال مقاتل بن سليمان: قوله: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} ... نَزَلَتْ فِي حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ الْعَنْسِيِّ حِينَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ

٧٦٠٧٠ - عن عبد الملك ابن جريج، قال: حَدَّثْتُ: أَنَّ أَبَا قَحَافَةَ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَكَّهُ أَبُو بَكْرٍ صَكَّةً، فَسَقَطَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَفَعَلْتَ، يَا أَبَا بَكْرٍ؟!». فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَوْ كَانَ السِّيفُ مِثِّي قَرِيبًا لَضَرَبْتُهُ. فَتَزَلَّتْ: {لَا تَجِدُ قَوْمًا} (الآية).

٧٦٠٧١ - عن عبد الله بن شوذب، قال: جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة، فقتله؛ فَتَزَلَّتْ: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} الآية.

### المتحنة (١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثُلُقُنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَحْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يُفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [المتحنة: ١]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

ذكر كثير من المفسرين، [رحمهم الله]، أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات في قصة حاطب بن أبي بلتعة، حين غزا النبي ﷺ غزوة الفتح، فكتب حاطب إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، ليتخذ بذلك يدا عندهم لا [شكا و] نفاقا، وأرسله مع امرأة، فأخبر النبي ﷺ بشأنه، فأرسل إلى المرأة قبل وصولها وأخذ منها الكتاب.

وعاتب حاطبا، فاعتذر رضي الله عنه بعذر قبله النبي ﷺ، وهذه الآيات فيها النهي الشديد عن موالاته الكفار من المشركين وغيرهم، وإلقاء المودة إليهم، وأن ذلك مناف للإيمان، ومخالف لملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو، الذي لا يبغي من مجهوده في العداوة شيئا، وينتهاز الفرصة في إيصال الضرر إلى عدوه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اعملوا بمقتضى إيمانكم، من ولاية من قام بالإيمان، ومعاداة من عاداه، فإنه عدو لله، وعدو للمؤمنين.

فلا تتخذوا عدو الله ﴿وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ﴾ أي: تسارعون في مودتهم وفي السعي بأسبابها، فإن المودة إذا حصلت، تبعها النصر والموالاتة، فخرج العبد من الإيمان، وصار من جملة أهل الكفران، وانفصل عن أهل الإيمان.

وهذا المتخذ للكافر وليا، عادم المروءة أيضا، فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه الذي لا يريد له إلا الشر، ويخالف ربه ووليه الذي يريد به الخير، ويأمره به، ويحثه عليه؟! ومما يدعو المؤمن أيضا إلى معاداة الكفار، أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحق، ولا أعظم من هذه المخالفة والمشاققة، فإنهم قد كفروا بأصل دينكم، وزعموا أنكم ضلال على غير هدى.

والحال أنهم كفروا بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية، ومن رد الحق فمحال أن يوجد له دليل أو حجة تدل على صحة قوله، بل مجرد العلم بالحق يدل على بطلان قول من رده وفساده.

ومن عداوتهم البليغة أنهم ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أيها المؤمنون من دياركم، ويشردونكم من أوطانكم، ولا ذنب لكم في ذلك عندهم، إلا أنكم تؤمنون بالله ربكم الذي يتعين على الخلق كلهم القيام بعبوديته، لأنه رباهم، وأنعم عليهم، بالنعمة الظاهرة والباطنة، وهو الله تعالى.

فلما أعرضوا عن هذا الأمر، الذي هو أوجب الواجبات، وقمتم به، عادوكم، وأخرجوكم - من أجله - من دياركم، فأى دين، وأى مروءة وعقل، يبقى مع العبد إذا والى الكفار الذين هذا وصفهم في كل زمان أو مكان؟ ولا يمنعهم منه إلا خوف، أو مانع قوي.

﴿إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ أي: إن كان خروجكم مقصودكم به الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وابتغاء مرضاة الله فاعملوا بمقتضى هذا، من موالاته أولياء الله ومعاداة أعدائه، فإن هذا هو الجهاد في سبيله وهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى ربهم ويتبعون به رضاه.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ﴾ أي: كيف تسرون المودة للكافرين وتخفونها، مع علمكم أن الله عالم بما تخفون وما تعلنون؟!، فهو وإن خفي على المؤمنين، فلا يخفى على الله تعالى، وسيجازي العباد بما يعلمه منهم من الخير والشر، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ أي: موالاته الكافرين بعد ما حذرهم الله منها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ لأنه سلك مسلكا مخالفا للشرع وللعقل والمروءة الإنسانية. انتهى من كلامه ﷺ

### المتحنة (١٣)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُؤُا مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (١٣)

[المتحنة: (١٣)]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

أي: يا أيها المؤمنون، إن كنتم مؤمنين بربكم، ومتبعين لرضاه ومجانبين لسخطه، ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وإنما غضب عليهم لكفرهم، وهذا شامل لجميع أصناف الكفار.

﴿قَدْ يَيْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي: قد حرموا من خير الآخرة، فليس لهم منها نصيب، فاحذروا أن تولوهم فتوافقوهم على شرهم وكفرهم فتحرموا خير الآخرة كما حرموا.

[وقوله] ﴿كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ حين أفضوا إلى الدار الآخرة، ووقفوا على حقيقة الأمر وعلوم علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها. ويحتمل أن المعنى: قد يئسوا من الآخرة أي: قد أنكروها وكفروا بها، فلا يستغرب حينئذ منهم الإقدام على مساخت الله وموجبات عذابه وإياسهم من الآخرة، كما يئس الكفار المنكرون للبعث في الدنيا من رجوع أصحاب القبور إلى الله تعالى. انتهى من كلامه ﷺ

## المبحث السابع :- هل قرؤوا القرآن الكريم وتدبروه؟

الجواب ببساطة أنهم لم يقرؤوه، وهذا حق بلا شك، تجد عليه من أنواع الأدلة - لا من أفرادها - ثلاثة :-

### الدليل الأول :- شهادة من سمع القرآن من الجن

سمع نفر من الجن القرآن، فأثمر في قلوبهم الإيمان، وحكى الله ﷻ عنهم فقال

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا

أَحَدًا ﴿٢﴾ [الجن: (١-٢)]

### الدليل الثاني :- شهادة من قرأ القرآن الكريم من المنصفين من غير المسلمين

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن ، سورة والطور ) قال :- ( حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ : حَدَّثُونِي عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ : { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ \* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ \* أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ } كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ .

قَالَ سُفْيَانُ : فَأَمَّا أَنَا ، فَإِنَّمَا سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ ، لَمْ أَسْمَعْهُ زَادَ الَّذِي قَالُوا لِي . ( ٢٢ )

أخرج الحاكم في "مستدرکه" (كتاب التفسير ، مدح كلام الله من لسان الكافر ) قال :- ( أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّنْعَانِيُّ بِمَكَّةَ ، تَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَنبَأَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيَّ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، فَكَأَنَّهُ رَقِيَ لَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : يَا عَمَّ ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا . قَالَ : لِمَ ؟ قَالَ : لِيُعْطُوكَهُ ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لَتُعْرِضَ لِمَا قَبْلَهُ ، قَالَ : قَدْ عَلِمْتَ فَرِيضَ أَبِي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا . قَالَ : فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهُ ، أَوْ أَنَّكَ كَارِهِ لَهُ ، قَالَ : وَمَاذَا أَقُولُ ، فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشَّعَارِ مِيَّيَّ ، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِيَّيَّ ، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا ، وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ خَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وَإِنَّهُ لَمُتَمِرٌ أَعْلَادُ مُعْدِقٍ أَسْفَلُهُ ، وَإِنَّهُ لِيَعْلُو وَمَا يُعْلَى ، وَإِنَّهُ لِيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ ، قَالَ : لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ ، قَالَ : فَدَعْنِي حَتَّى أَفَكِّرَ ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ : هَذَا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ ، فَتَزَلْتُ { دَرْزِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا } . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ :- هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ( ٢٣ )

قال البيهقي ﷺ في "شعب الإيمان" :- ( وروينا من وجه آخر عن ابن عباس أتم من ذلك حين اجتمع الوليد بن المغيرة ونفر من قريش وقد حضر الموسم ليجتمعوا على رأي واحد فيما يقولون في محمد صلى الله عليه وسلم لوفود العرب فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به فقال: بل أنتم فقولوا أسمع. فقالوا: نقول كاهن. فقال: ما هو بكاهن لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة

(٢٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٤٠ / ٦) برقم: (٤٨٥٤) (كتاب تفسير القرآن ، سورة والطور)

(٢٣) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٥٠٦ / ٢) برقم: (٣٨٩٣) (كتاب التفسير ، مدح كلام الله من لسان الكافر) (بهذا اللفظ) والطبراني في "الكبير" (١١ / ١٢٥) برقم: (١١٢٥٠) (باب

العين ، عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس) (بمعناه مختصرا).

فهذا الحديث روي من طريق ابن أبي مليكة، وعكرمة عن ابن عباس.

الكاهن وسحره. فقالوا: نقول مجنون. فقال: ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. فقالوا: نقول شاعر. قال: ما هو بشاعر ولقد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه وبمبسطه فما هو بالشعر. قالوا: فنقول هو ساحر. قال: فما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا عقده. فقالوا: فماتقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لمغدق وإن فرعه لجنى فما أنتم بقائلن من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين المرء وبين أخيه وبين المرء وبين زوجته وبين المرء وبين عشيرته. فتفرقوا عنه بذلك فأنزل الله عز وجل في الوليد بن المغيرة: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ...} إلى قوله {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} (٢٤)

أخرج البيهقي في "دلائل النبوة" قال :- ( أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الرَّهْرِيُّ قَالَ: «حَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ، وَأَبَا سُفْيَانَ، وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيْقٍ، خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْتَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ وَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا لِيَسْتَمَعَ فِيهِ، وَكُلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحُوا وَطَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ فَتَلَاؤُوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَعُوذُوا فَلَوْ رَأَيْتُمْ سَفَهَائِكُمْ لِأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا.

ثُمَّ انْصَرَفُوا حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةَ عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ.

ثُمَّ انْصَرَفُوا فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةَ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَقَالُوا: لَا نَبْرُحُ حَتَّى نَتَعَاهَدَ لَا نَعُودُ فَتَعَاهَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ أَخَذَ عَصَاهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ فِي بَيْتِهِ فَقَالَ أَخْبَرَنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ فَقَالَ يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا وَأَعْرِفُ مَا يُرَادُ بِهَا. فَقَالَ الْأَخْنَسُ وَأَنَا وَالَّذِي حَلَفْتُ بِهِ. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى أَتَى أَبَا جَهْلٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَكَمِ مَا رَأَيْتُكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ فَقَالَ مَاذَا سَمِعْتَ؟ تَنَارَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ، أَطَعَمُوا فَأَطَعْنَا وَحَمَلْنَا وَأَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا حَتَّى إِذَا تَجَانَيْنَا عَلَى الرَّكْبِ وَكُنَّا كَفَرَسِي رَهَانٍ قَالُوا: مَنَا نَبِيٌّ (٢٥)

وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" :- ( وقال يونس بن بكير، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن المغيرة بن شعبة، قال: إن أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أمشي أنا وأبو جهل، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأبي جهل: "يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله". فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهمتنا، هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حقا ما اتبعتك. فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل علي فقال: والله إنني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم، فقالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا: نعم، وقالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي. والله لا أفعل) (٢٦)

أخرج مسلم في "صحيحه" ( كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ) قال :- ( ٨٦٨ - وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى . كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى . قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى - وَهُوَ أَبُو هَمَّامٍ - ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ صِمَادًا قَدِيمَ مَكَّةَ . وَكَانَ مِنْ أَرْدِ شَنْوَةَ . وَكَانَ يَرِيقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ . فَسَمِعَ سَفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ :

(٢٤) "شعب الإيمان" (١/ ٢٨٨ ط الرشد)

(٢٥) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٠٦)

(٢٦) "سير أعلام النبلاء" (سيرة) (١/ ١٢٩ ط الرسالة)

إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ. فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ. قَالَ: فَلَقِيَهُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي أُرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ. وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مَنْ شَاءَ. فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَمَا بَعْدُ. قَالَ فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ. فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهْنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ. فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ. وَلَقَدْ بَلَغُنَّ نَاعُوسَ الْبَحْرِ. قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ. قَالَ فَبَايَعَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَعَلَى قَوْمِكَ قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي. قَالَ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ. فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مَطَهْرَةً. فَقَالَ: رُدُّوهَا. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ضَمَادٍ. (٢٧)

وأخرج ابن إسحاق في "سيرة ابن إسحاق = السير والمغازي" قال :- (نا يونس قال: ثم رجع الحديث إلى الأول قال: فلما قال له ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فقال: يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أشلتم (٢٨) له نبلة بعد، لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتهم ساحر، ولا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة ونفتهم وعقدهم، وقلتم: كاهن، ولا والله ما هو بكاهن، وقد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، ولا والله ما هو بشاعر ولقد روينا الشعر وأصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون، ولا والله ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، يا معشر قريش انظروا في شأنكم، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم) (٢٩)

وأخرج أبو نعيم في "دلائل النبوة" قال :- (وَزَادَ مِنْجَابُ عَنْ زِيَادٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ قَالَ: لَمَّا أَسْلَمَ فِتْيَانُ بَنِي سَلَمَةَ أَسْلَمَتِ امْرَأَةٌ عَمْرُو بْنِ الْجَمُوحِ وَوَلَدُهُ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: لَا تَدْعِي أَحَدًا مِنْ عِيَالِكَ فِي أَهْلِكَ حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ قَالَتْ: أَفَعَلُ وَلَكِنْ هَلْ لَكَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْ ابْنِكَ فَلَانِ مَا رَوَى عَنْهُ؟ قَالَ: فَلَعَلَّهُ صَبَأَ قَالَتْ: لَا وَلَكِنْ كَانَ مَعَ الْقَوْمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفتاحة: ٢] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفتاحة: ٦] فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلُهُ وَكُلُّ كَلَامِهِ مِثْلُ هَذَا؟ فَقَالَ: يَا أَبَتَاهُ وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا قَالَ: فَهَلْ لَكَ أَنْ تُبَايَعَهُ؟ قَدْ صَنَعَ ذَلِكَ عَامَّةُ قَوْمِكَ؟ قَالَ: لَسْتُ فَاعِيًا حَتَّى أُوَامِرَ مَنَاءَ فَأَنْظُرَ مَا يَقُولُ قَالَ: وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا كَلَامَ مَنَاءَ جَاءَتْ عَجُوزٌ فَكَامَتْ خَلْفَهُ فَأَجَابَتْ عَنْهُ قَالَ: فَأَتَاهُ وَغِيَّبَتِ الْعَجُوزُ وَأَقَامَ عِنْدَهُ فَتَشَكَّرَ لَهُ وَقَالَ: يَا مَنَاءُ تَشْعُرُ أَنَّ قَدْ سِيلَ بِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ؟ جَاءَ رَجُلٌ يَهَانَا عَنْ عِبَادَتِكَ وَيَأْمُرُنَا بِتَعْطِيلِكَ فَكَرِهْتُ أَنْ أَبَايَعَهُ حَتَّى أُؤَامِرَكَ، وَخَاطَبَهُ طَوِيلًا فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَطُنْتُكَ قَدْ غَضِبْتُ وَلَمْ أَصْنَعْ بَعْدُ شَيْئًا، فَقَامَ إِلَيْهِ فَكَسَرَهُ) (٣٠)

### الدليل الثاني :- شهادة غير المسلمين ممن هداهم الله ﷺ للإسلام

فإنك تجد كثيرا ممن شرح الله ﷻ صدرهم للإسلام برحمته يُكثرون ذكر التنبيه عليهم من أساقفتهم ألا يقرؤا كتاب المسلمين (يقصدون القرآن الكريم) بل يعتمد أساقفتهم أن ينقلوا لهم كلاما مكذوبا ومعلومات مغلوطة عن القرآن الكريم، وغالب من كُلف

(٢٧) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١١ / ٣) برقم: (٨٦٨) (كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة)

(٢٨) أي نزل بكم أمر لم تقدره حق قدره ولم تحتاطوا له بما يلزم، وجاء عند ابن هشام، "الروض" «نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد»

(٢٩) "سيرة ابن إسحاق = السير والمغازي" (ص ٢٠٠)

(٣٠) "دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني" (ص ٣١١)

منهم بقراءة القرآن الكريم محاولا التوصل إلى ما يطعن به في الإسلام آل حاله بفضل الله ورحمته إلى الإسلام ولله الحمد، والقصص في هذا كثير متواتر<sup>(٣١)</sup>

### الدليل الثالث :- حقارة الأسلوب المتبع والذي لا يحتاج لمثله العاقل

فإن من المعلوم أن العاقل إن أراد أن يناقش فكرة أو كتابا قرأه واطلع عليه وعرض ما يظنه نقدا، أو نقضا، أو حجة أو إشكالا على المختصين وينتظر منهم الجواب، ثم يورد الإشكال على ردّ الإشكال، وهكذا دواليك، وهذا حال الباحث عن الحق والساعي للوصول إليه، أما ما يفعله الكفرة الغوغاء من التناول على كتاب الله ﷺ بالحرق وغيره فهذا يُجيده كل أحد يستوي في ذلك من له مسحة من عقل مع المجنون بالكلية مع كامل العقل، والذي يمنعه عقله من الإقدام على مثل هذا، وهذا ما يفعله كثير من المسلمين والله الحمد في نقاش النصارى في الأخطاء والتناقضات الواضحة الجليلة الموجودة في صلب عقيدتهم وكتبهم وإظهار العوار الجليّ فيما لتبصيرهم بطريق الحق والهدى بالنقاشات والحوار والدليل والإقناع وليس بالحرق والتدنيس ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولم لا والله ﷺ يقول في مُحكم التنزيل

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتغل على العلم النافع والعمل الصالح ﴿بِالْحُكْمَةِ﴾ أي: كل أحد على حسب حاله، وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقيم به.

(٣١) على سبيل المثال لا الحصر

- [أستاذ اللاهوت ابراهيم خليل فلوبوس](#)
- [شاهد القسيس الذي كلفته الكنيسة بدراسة القران لاكتشاف تناقضات به - فحدثت له مفاجاة كبيرة \( قصة اسلام الشمس القبط سابقاً جمال أرمانيوس \)](#)
- [القس اسحق سابقاً رحمه الله: أحرقوا والذي وقتلوا زوجتي وابنتي لأني اعتنقت الإسلام ٧/١](#)
- [قصة اسلام الدكتور وديع أحمد فتحي الشمس السابق](#)
- [اشيار اسلام محامي قبطي كان مؤهلا ليصبح كاهن ارتوذكسي \(مسيحي سابق\)](#)
- [لماذا أسلمت \\*\\* كنت نصرانيا وشماسا \\*\\* استمع لأروع حديث من شماس سابقاً أسلم لله تعالى](#)
- [خادم في الكنيسة يترك المسيحية ويحكي قصة اسلامه](#)
- [شيخ يروي قصة اسلامه](#)
- [القسيس والراهب الأمريكي "هيلاريون هيجي" يعلن اسلامه.. اليكم التفاصيل](#)
- [قصة عجيبة.. قسيس يسلم بسبب رؤيا في المنام!! | حسن الحسيني](#)
- [شاب نصراني يكشف ماذا يقول القساوسة عن الاسلام والنبي محمد في الكنيسة ومفاجآت مدهشة](#)
- [ماذا يقول القساوسة عن الإسلام في غرفهم المغلقة؟](#)

وإما بذكر ما أعد الله للطائعتين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصيين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان [المدعو] يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدونها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وألا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ علم السبب الذي أداه إلى الضلال، وعلم أعماله المترتبة على ضلالته وسيجزيه عليها.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَدِينَ﴾ علم أنهم يصلحون للهداية فهداهم ثم من عليهم فاجتباهم. انتهى من كلامه ﷺ

. وللأسف يظن بعض الجهلاء أن المسلمين لا يقدمون على مثل هذه الأفعال لأنهم لا يقدرّون على مثلها مع التوراة والإنجيل، ولا يعلمون أن ما يحكم المسلم ويمنعه من الإقدام على مثل هذه الفعلة الشنعاء أنه محكوم بشريعة الله ﷻ وأوامره التي تُعظّم الكتب السماوية، وأنه ليس إحجام ناتج عن ضعف وعجز، ونعرض لهذه النقطة بشيء من التفصيل فيما يأتي إن شاء الله



## المبحث الثامن :- ماذا يمنع المسلمين من الإقدام على مثل هذا الفعل مع التوراة والإنجيل؟

### الخلاصة

بالرغم من أن المسلمين يعتقدون اعتقادا جازما أن التوراة والإنجيل الحاليين محرفين، إلا أن المسلم - بالنسبة للتوراة والإنجيل الحاليين - لا يُقدم على مثل ما يُقدم عليه الكفار تجاه القرآن لأسباب عديدة، منها أنه قد يكون هناك بقايا من كلام الله ﷺ في هذين الكتابين المحرفين - التوراة والإنجيل - ومنها أن رسول الله ﷺ أو أحدا من الصحابة أو التابعين لم يُقدم على فعله كهذه، والترك فعل بضوابطه كما هو صحيح عند أهل أصول الفقه، أي إذا ترك رسول الله ﷺ فعلا مع وجود المقتضي وانتفاء المانع فنحن نترك ما تركه رسول الله ﷺ ومن الأولى أن نمثل قول ربنا ﷺ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٣٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

[النحل: (١٣٥-١٣٨)]

ونحن في هذا المبحث نتعرض لبعض المباحث الفرعية :-

أولا :- المسلمون يؤمنون بجميع الكتب التي أنزلها الله ﷺ على رسله

ثانيا :- الأدلة من القرآن الكريم على تحريف أهل الكتاب لكتبهم

ثالثا :- إخفاء نبوة نبينا محمد ﷺ من أكبر أدلة تحريف التوراة والإنجيل

المبحث الفرعي الأول :- المسلمون يؤمنون بجميع الكتب التي أنزلها الله ﷺ على رسله

البقرة (٢١٣)

يقول الله ﷻ في مُحكم التنزيل

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: (٢١٣)]

محل الشاهد في هذه الآية هو قول الله ﷻ ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ و(الكتاب) هنا لفظ مفرد معرف يعم جميع الكتب التي أنزلها الله ﷻ على أنبيائه ورسوله كما هو معلوم لدى أهل اللغة والأصول.

البقرة (٢٨٤ - ٢٨٥)

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤-٢٨٥]

محل الشاهد هنا هو قول الله ﷻ عن نبينا محمد ﷺ وأصحابه ؓ ﴿كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ءَ﴾ فالمسلمون - والله الحمد والمنة - يؤمنون بجميع الكتب التي أنزلها الله ﷻ ويؤمنون بجميع أنبياء الله ﷻ ورسوله

آل عمران (١ - ٦)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْم ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران: ١-٤]

في "موسوعة التفسير المأثور"

١١٨٧٦ - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - قوله: {وأُنزل الفرقان}، قال: هو القرآن، فرَّق به بين الحق والباطل، فأحلَّ فيه حلاله، وحرَّم فيه حرامه، وشرع فيه شرائعه، وحدَّ فيه حدوده، وفرض فيه فرائضه، وبَيَّن فيه بيانه، وأمر بطاعته، ونهى عن معصيته .

١١٨٧٧ - عن محمد بن جعفر بن الزبير - من طريق ابن إسحاق - {وأُنزل الفرقان}: أي: الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره

النساء (١٣٦)

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا ءَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالَّذِي أَنزَلَ مِنَ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]

محل الشاهد في هذه الآية هو قول الله ﷻ ﴿وَالَّذِي أَنزَلَ مِنَ قَبْلُ﴾ و (الكتاب) هنا لفظ مفرد معرف يعم جميع الكتب التي أنزلها الله ﷻ على أنبيائه ورسوله كما هو معلوم لدى أهل اللغة والأصول.

المبحث الفرعي الثاني :- من أدلة تحريف التوراة والإنجيل

نحن نؤمن يقينا أن التوراة والإنجيل والقرآن الكريم من الله ﷻ ولا نفرق بينهم وبين القرآن الكريم من أن ثلاثهم من عند الله ﷻ ، هذا مع إيماننا واعتقادنا اعتقادا جازما أن التوراة والإنجيل الموجودين الآن مُحَرَّفان، وكثير مما فيهما ليس من كلام الله ﷻ وما أخفى اليهود والنصارى منهما كثير، بل أن الله ﷻ أنساهما بذنوبهم، وهذا ليس طعنا، ولكن توصيفا للواقع وتصديقا لما في كتاب

ربنا ﷺ ، شاء ربنا ﷺ بحكمته ورحمته أن يحفظ القرآن الكريم ، شاء ربنا ﷺ بحكمته ورحمته أن يحفظ الوحي المنزل على محمد ﷺ ، و شاء ربنا ﷺ بحكمته وعزته وقدرته أن تذهب التوراة والإنجيل

البقرة (٧٥ - ٧٦)

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ٧٥-٧٦]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم لا تقتضي الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أَرادها الله، ليوهبوا الناس أنها من عند الله، وما هي من عند الله، فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعاد الأشياء. انتهى من كلامه ﷺ

النساء (٤٦)

﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النساء: ٤٦]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

ثم بين كيفية ضلالهم وعنادهم وإيثارهم الباطل على الحق فقال: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ أي: اليهود وهم علماء الضلال منهم.

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ إما بتغيير اللفظ، أو المعنى، أو هما جميعا. فمن تحريفهم تنزيل الصفات التي ذكرت في كتبهم التي لا تنطبق ولا تصدق إلا على محمد ﷺ على أنه غير مراد بها، ولا مقصود بها، بل أريد بها غيره، وكتمانهم ذلك. فهذا حالهم في العلم أشرف حال، قلبوا فيه الحقائق، ونزلوا الحق على الباطل، وجحدوا لذلك الحق، وأما حالهم في العمل والانقياد فإنهم ﴿ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك، وهذا غاية الكفر والعناد والشرود عن الانقياد، وكذلك يخاطبون الرسول ﷺ بأقبح خطاب وأبعده عن الأدب فيقولون: ﴿ اَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ ﴾ قصدهم: اسمع منا غير مسمع ما تحب، بل مسمع ما تكره، ﴿ وَرَاعَيْنَا ﴾ قصدهم بذلك الرعونة، بالعيب القبيح، ويظنون أن اللفظ -لما كان محتملا لغير ما أرادوا من الأمور- أنه يروج على الله وعلى رسوله، فتوصلوا بذلك اللفظ الذي يلوون به ألسنتهم إلى الطعن في الدين والعيب للرسول، ويصرحون بذلك فيما بينهم، فهذا قال: ﴿ لِيَا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ﴾ ثم أرشدهم إلى ما هو خير لهم من ذلك فقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ وذلك لما تضمنه هذا الكلام من حسن الخطاب والأدب اللائق في مخاطبة الرسول، والدخول تحت طاعة الله والانقياد لأمره، وحسن التلطف في طلبهم العلم بسماع سؤالهم، والاعتناء بأمرهم، فهذا هو الذي ينبغي لهم سلوكه. ولكن لما كانت طبائعهم

غير زكية، أعرضوا عن ذلك، وطردهم الله بكفرهم وعنادهم، ولهذا قال: ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ انتهى من كلامه ﷺ

المائدة (١٢ - ١٣)

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً يُحْزِنُونَ أَلْكَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٢-١٣]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

يخبر تعالى أنه أخذ على بني إسرائيل الميثاق الثقيل المؤكد، وذكر صفة الميثاق وأجرهم إن قاموا به، وإثمهم إن لم يقوموا به، ثم ذكر أنهم ما قاموا به، وذكر ما عاقبهم به، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: عهدهم المؤكد الغليظ، ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ أي: رئيسا وعريفا على من تحته، ليكون ناظرا عليهم، حاثا لهم على القيام بما أُمرُوا به، مطالبا يدعوهوم.

﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ للنبياء الذين تحملوا من الأعباء ما تحملوا: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بالعون والنصر، فإن المعونة بقدر المؤنة.

ثم ذكر ما واثقهم عليه فقال: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ ظاهرا وباطنا، بالإتيان بما يلزم وينبغي فيها، والمداومة على ذلك ﴿وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ لمستحقها ﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ جميعهم، الذين أفضلهم وأكملهم محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي: عظمتموهم، وأديتم ما يجب لهم من الاحترام والطاعة ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وهو الصدقة والإحسان، الصادر عن الصدق والإخلاص وطيب المكسب، فإذا قمتم بذلك ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فجمع لهم بين حصول المحبوب بالجنة وما فيها من النعيم، واندفاع المكروه بتكفير السيئات، ودفع ما يترتب عليها من العقوبات.

﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العهد والميثاق المؤكد بالإيمان والالتزامات، المقرون بالترغيب بذكر ثوابه.

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: عن عمد وعلم، فيستحق ما يستحقه الضالون من حرمان الثواب، وحصول العقاب. فكانه قيل: ليت شعري ماذا فعلوا؟ وهل وفوا بما عاهدوا الله عليه أم نكثوا؟

فبين أنهم نقضوا ذلك فقال: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾.

أي: بسببه عاقبناهم بعدة عقوبات: الأولى: أنا ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾ أي: طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا، حيث أغلقوا على أنفسهم أبواب الرحمة، ولم يقوموا بالعهد الذي أخذ عليهم، الذي هو سببها الأعظم.

الثانية: قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أي: غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيد الهدى، والخير إلا شرا.

الثالثة: أنهم {يُخْرِفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} أي: ابتلوا بالتغيير والتبديل، فيجعلون للكلم الذي أراد الله معنى غير ما أراده الله ولا رسوله.

الرابعة: أنهم {نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} فإنهم ذكروا بالتوراة، وبما أنزل الله على موسى، فنسوا حظا منه، وهذا شامل لنسيان علمه، وأنهم نسوه وضاع عنهم، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم.

وشامل لنسيان العمل الذي هو الترك، فلم يوقفوا للقيام بما أمروا به، ويستدل بهذا على أهل الكتاب بإنكارهم بعض الذي قد ذكر في كتابهم، أو وقع في زمانهم، أنه مما نسوه.

الخامسة: الخيانة المستمرة التي {لَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ} أي: خيانة لله ولعباده المؤمنين.

ومن أعظم الخيانة منهم، كتمهم [عن] من يعظمهم ويحسن فيهم الظن الحق، وإبقاؤهم على كفرهم، فهذه خيانة عظيمة. وهذه الخصال الذميمة، حاصلة لكل من اتصف بصفاتهم.

فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذُكر به، وأنه لا بد أن يبتلى بالخيانة، نسأل الله العافية.

وسعى الله تعالى ما ذكروا به خطأ، لأنه هو أعظم الحظوظ، وما عداه فإنما هي حظوظ دنيوية، كما قال تعالى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} وقال في الحظ النافع: {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}

وقوله: {إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ} أي: فإنهم وفوا بما عاهدوا الله عليه فوقهم وهداهم للصراط المستقيم.

{فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} أي: لا تؤاخذهم بما يصدر منهم من الأذى، الذي يقتضي أن يعفى عنهم، واصفح، فإن ذلك من الإحسان {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} والإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك. وفي حق المخلوقين: بذل النفع الديني والدنيوي لهم. انتهى من كلامه ﷻ

## المادة (٤١)

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُخْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷻ في "تفسيره" :-

كان الرسول ﷺ من شدة حرصه على الخلق يشد حزنه لمن يظهر الإيمان، ثم يرجع إلى الكفر، فأرشده الله تعالى، إلى أنه لا يأسى ولا يحزن على أمثال هؤلاء. فإن هؤلاء لا في العير ولا في النفير. إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفقدوا، ولهذا قال مبينا للسبب الموجب لعدم الحزن عليهم - فقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ فإن الذين يؤسى ويحزن عليهم، من كان

معدودا من المؤمنين، وهم المؤمنون ظاهرا وباطنا، وحاشا لله أن يرجع هؤلاء عن دينهم ويرتدوا، فإن الإيمان -إذا خالطت بشاشته القلوب- لم يعدل به صاحبه غيره، ولم يبيع به بدلا.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: مستجيبون ومقلدون لرؤسائهم، المبني أمرهم على الكذب والضلال والغي. وهؤلاء الرؤساء المتبعون ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ بل عرضوا عنك، وفرحوا بما عندهم من الباطل وهو تحريف الكلم عن مواضعه، أي: جلب معان للألفاظ ما أرادها الله ولا قصدها، لإضلال الخلق ولدفع الحق، فهؤلاء المنقادون للدعاة إلى الضلال، المتبعين للمحال، الذين يأتون بكل كذب، لا عقول لهم ولا همم. فلا تبال أيضا إذا لم يتبعوك، لأنهم في غاية النقص، والناقص لا يؤبه له ولا يبالي به.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذُرُوا﴾ أي: هذا قولهم عند محاكمتهم إليك، لا قصد لهم إلا اتباع الهوى. يقول بعضهم لبعض: إن حكم لكم محمد بهذا الحكم الذي يوافق أهواءكم، فاقبلوا حكمه، وإن لم يحكم لكم به، فاحذروا أن تتابعوه على ذلك، وهذا فتنة واتباع ما تهوى الأنفس.

﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: فلذلك صدر منهم ما صدر. فدل ذلك على أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه، وأنه إن حكم له رضي، وإن لم يحكم له سخط، فإن ذلك من عدم طهارة قلبه، كما أن من حاكم وتحاكم إلى الشرع ورضي به، وافق هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب، ودل على أن طهارة القلب، سبب لكل خير، وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل سديد.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: فضيحة وعار ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو: النار وسخط الجبار. انتهى من كلامه ﷺ

#### الحديث الأول

أخرج أبو داود في "سننه" (كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين) قال:- ( حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، نَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الرَّهْرِيِّ ، قَالَ : نَا رَجُلٌ مِنْ مُرَيْتَةَ ( ح ) وَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ ، نَا عَنبَسَةَ ، نَا يُونُسُ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ : سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ مُرَيْتَةَ مِمَّنْ يَتَّبِعُ الْعِلْمَ وَيَعْبِهْ ثُمَّ اتَّفَقَا وَنَحْنُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، فَحَدَّثَنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهَذَا حَدِيثٌ مَعْمَرٍ وَهُوَ أَتَمُّ قَالَ : زَنَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ وَامْرَأَةٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : اذْهَبُوا بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ بَعِثَ بِالتَّخْفِيفِ ، فَإِنْ أَفْتَانَا بِفُتْيَا دُونَ الرَّجْمِ قَبِلْنَاهَا ، وَاحْتَجَجْنَا بِهَا عِنْدَ اللَّهِ فَلْنَا فُتْيَا نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِكَ ، قَالَ : فَأَتُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ فِي أَصْحَابِهِ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، مَا تَرَى فِي رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ زَنِيَا ؟ فَلَمْ يُكَلِّمُهُمْ كَلِمَةً حَتَّى أَتَى بَيْتَ مَدْرَاسِهِمْ فَقَامَ عَلَى الْبَابِ فَقَالَ : أَنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ ؟ قَالُوا : يُحَمَّمُ وَيُجَبَّهُ وَيُجْلَدُ وَالتَّجْبِيهُ أَنْ يُحْمَلَ الرَّائِيَانِ عَلَى حِمَارٍ وَيُقَابَلُ أَفْفِيئُهُمَا وَيُطَافُ بِهِمَا قَالَ : وَسَكَتَ شَابٌّ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَكَتَ أَلْطَّ بِهِ النَّشِدَةَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّا نَجِدُ فِي التَّوْرَةِ الرَّجْمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَمَا أَوْلُ مَا ارْتَحَصْتُمْ أَمْرَ اللَّهِ ؟ قَالَ : زَنَى ذُو قَرَابَةِ مِنْ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِنَا فَأَحْرَ عَنْهُ الرَّجْمَ ، ثُمَّ زَنَى رَجُلٌ فِي أُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَأَرَادَ رَجْمَهُ فَحَالَ قَوْمُهُ دُونَهُ ، وَقَالُوا : لَا يُرْجَمُ صَاحِبُنَا حَتَّى تَجِيءَ بِصَاحِبِكَ فَتَرْجَمَهُ ، فَاصْلَحُوا عَلَى هَذِهِ الْعُقُوبَةِ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِنِّي أَحْكُمُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ فَأَمَرَ بِهِمَا فَرَجِمَا

قَالَ الرَّهْرِيُّ: فَبَلَّغْنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِمْ { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا } كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ. (٣٢)

المبحث الفرعي الثالث :- إخفاء نبوة نبينا محمد ﷺ من أكبر أدلة تحريفهم

ومن هذا ما أخفوه وحرفوه من نبوة خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد ﷺ

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٦٦)

[البقرة: ١٦٦]

في "موسوعة التفسير المأثور"

نزول الآية:

٤٣٦٢ - قال مقاتل بن سليمان: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم}، يعني: اليهود؛ منهم: أبو ياسر ابن أخطب، وكعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وسلام بن صوريا، وكنانة بن أبي الحقيق، ووهب بن يهودا، وأبو نافع، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لِمَ تطوفون بالكعبة وإنما هي حجارة مبنية؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنكم لتعلمون أن الطواف بالبيت حق، فإنه هو القبلة، مكتوبٌ في التوراة والإنجيل، ولكنكم تكتُمون ما في كتاب الله من الحق، وتجحدونه». فقال ابن صوريا: ما كتمنا شيئاً ممّا في كتابنا. فأنزل الله عز وجل: {الذين آتيناهم الكتاب}.

تفسير الآية:

٤٣٦٣ - عن سلمان الفارسي -من طريق شُرْحِبِيلِ بْنِ السَّمُطِ- قال: خرجتُ أبتغي الدِّينَ، فوقعْتُ في الرهبان؛ بقايا أهل الكتاب، قال الله تعالى: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ}. فكانوا يقولون: هذا زمانُ نبيِّ قد أظَلَّ، يخرج من أرض العرب، له علامات، من ذلك شَأْمَةٌ مُدَوَّرَةٌ بَيْنَ كَتْفَيْهِ؛ خاتم النبوة.

٤٣٦٤ - عن عبد الله بن عباس -من طريق محمد بن مروان السدي، عن الكلبي، عن أبي صالح- قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ؛ قَالَ عَمْرُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ: لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيَّهُ: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ}، فكيف - يا عبد الله- هذه المعرفة؟ فقال عبد الله بن سلام: يا عمر، لقد عرفته فيكم حين رأيته، كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان يلعب، وأنا أشد معرفةً بمحمد مّي بابني. فقال عمر: وكيف ذلك؟ فقال: أشهد أنه رسولٌ حقٌّ من الله، وقد نعته الله في كتابنا، وما أدري ما تصنع النساء! فقال له عمر: وفقك الله، يا ابن سلام، فقد صدقتُ وأصببتُ

٤٣٦٦ - عن عبد الله بن عباس -من طريق العوفي- قوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ}، يعني بذلك: الكعبة البيت الحرام

(٣٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤/ ٢٦٥) برقم: (٤٤٥٠) (كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين)

٤٣٦٧ - عن قتادة بن دعامة - من طريق مَعْمَر - في قوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} قال: اليهود والنصارى {يعرفونه} أي: يعرفون رسول الله في كتابهم كما يعرفون أبناءهم

٤٣٧١ - عن خُصَيْف بن عبد الرحمن - من طريق محمد بن سلمة - في قوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ}، قال: هم اليهود والنصارى، يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم، وصفته في كتابهم، كما يعرفون أبناءهم.

٤٣٧٤ - عن عبد الملك ابن جُرَيْج - من طريق حَجَّاج - في قوله: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه}، قال: زعموا أن بعض أهل المدينة من أهل الكتاب مِمَّنْ أسلم قال: والله، لَنَحْنُ أَعْرَفُ بِهِ مِمَّا بَأْبَانَا؛ من أجل الصفة والنعت الذي نجده في كتابنا، وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء !.

آل عمران (٨١-٨٢)

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: (٨١-٨٢)]

في "موسوعة التفسير المأثور"

١٣٥٤٥ - عن علي بن أبي طالب - من طريق أبي أيوب - قال: لم يبعث الله نبياً - آدم فمن بعده - إلا أخذ عليه العهد في محمد؛ لئن بُعث وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه. ثم تلا: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ} الآية

١٣٥٤٦ - عن عبد الله بن عباس - من طريق ابن إسحاق بسنده - في الآية، قال: ثم ذكر ما أخذ عليهم - يعني: على أهل الكتاب - وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه - يعني: بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم - إذا جاءهم، وإقرارهم به على أنفسهم

١٣٥٤٧ - عن طاووس بن كيسان - من طريق ابن جريج، عن ابن طاووس - في الآية، قال: أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم

١٣٥٤٨ - عن طاووس بن كيسان - من طريق معمر، عن ابن طاووس - في قول الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ}، قال: أخذ الله ميثاق النبيين أن يُصَدِّقَ بعضهم بعضاً، ثم قال: {ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه} قال: هذه الآية لأهل الكتاب، أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا لمحمد ويصدقوه

١٣٥٤٩ - عن الحسن البصري - من طريق عباد بن منصور - في الآية، قال: أخذ الله ميثاق النبيين لِيُبَلِّغَنَّ أَرْحَامَكُمْ، ولا تختلفوا

١٣٥٥٠ - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في الآية، قال: هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويُصَدِّقُوهُ، وينصروه

١٣٥٥١ - عن إسماعيل السُّدِّي - من طريق أسباط - في الآية، قال: لم يبعث الله نبياً قط من لدن نوح إلا أخذ الله ميثاقه؛ ليؤمنن بمحمد ولينصرنه إن خرج وهو حي، والأخذ على قومه أن يؤمنوا به وينصروه إن خرج وهم أحياء



١٣٥٥٢ - عن إسماعيل السُّدِّيّ - من طريق أسباط بن نصر - قوله: {لما آتيتكم}: يقول لليهود: أخذت ميثاق النبيين بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي ذكر في الكتاب عندكم

١٣٥٥٣ - عن عطاء الخراساني - من طريق ابنه عثمان - يعني قوله: {ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم}، قال: أخذ ميثاق أهل الكتاب لأن جاءهم رسول مصدق بكتيبهم التي عندهم التي جاء بها الأنبياء ليؤمنن به ولينصرنه، فأقروا بذلك، وأشهدوا الله على أنفسهم، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم صدق بكتيبهم الأنبياء التي كانت قبله، {فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون}

١٣٥٥٤ - قال مقاتل بن سليمان: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين} على أن يعبدوا الله، ويبلغوا الرسالة إلى قومهم، ويدعوا الناس إلى دين الله عز وجل، فبعث الله موسى ومعه التوراة إلى بني إسرائيل، فكان موسى أول رسول بعث إلى بني إسرائيل، وفي التوراة بيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم، فأقروا به، {لما} يعني: للذي {آتيتكم} يعني: بني إسرائيل {من كتاب} يعني: التوراة، {وحكمة} يعني: ما فيها من الحلال والحرام، {ثم جاءكم} يعني: بني إسرائيل {رسول} يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم {مصدق لما معكم} يعني تصديق محمد صلى الله عليه وسلم لما معكم في التوراة، {لتؤمنن به} يعني: لتصدقن به إن بعث، {ولتنصرنه} إذا خرج. يقول عز وجل لهم: {قال أقررتم}

١٣٥٥٥ - عن محمد بن إسحاق - من طريق زياد - قال: بعث الله عز وجل محمدًا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وكافة للناس، وقد كان الله عز وجل أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به والتصديق له، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه، يقول الله عز وجل لمحمد عليه السلام: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم} قرأ إلى {الشاهدين}، فأخذ الله له ميثاق النبيين جميعًا بالتصديق له، والنصر له ممن خالفه، وأدوا ذلك إلى من آمن منهم وصدقهم، فبعثه الله بعد بنين الكعبة بخمس سنين، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن أربعين سنة

١٣٥٥٦ - عن علي بن أبي طالب - من طريق أبي أيوب - في قوله: {قال فاشهدوا} يقول: فاشهدوا على أممكم بذلك، {وأنا معكم من الشاهدين} عليكم، وعليم

١٣٥٥٧ - عن عبد الله بن عباس - من طريق العوفي - في قوله: {إصري}، قال: عهدي

الأعراف (١٥٧)

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧]

الصف (٦ - ٩)

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِنَتِيِّ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يَرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ

﴿الْكَافِرُونَ﴾ ٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

[الصف: ٦-٩]

## المبحث التاسع :- هل حرق القرآن الكريم (ظاهرة في ازدياد) كما يسميها البعض، أم هو مجرد حدث فردي عابر، أم هو شيء آخر؟

تعتمد محاولة الإساءة إلى القرآن الكريم هو فعل تابع من اعتقادهم، وهو أمر مستمر منذ القدم، وليس أمراً حادثاً أو طارئاً أو عابراً. إن الدافع والمحرك لهذه الأفعال التي تسمح بها حكوماتهم ودولهم، بل تدعمها الأحزاب والحكومات والدول وتحميها بقوة القانون هو (الاعتقاد) ولا شيء غيره

ونحن نؤمن ونعتقد اعتقاداً جازماً كما هم يعتقدون أن الموعد بيننا وبينهم كما أخبر رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة التالية، ومن تأملها وضح له مبررات كثير من أفعال القوم، ولا يغتر أحد بقوانين الهجرة والجنسية والإقامة وخلافه، فكما رأينا جميعاً لم يستطع المسلمون جميعاً في هذا البلد أو غيره أن يحركوا ساكناً لإيقاف هذه الجريمة أو منعها، بل كانوا من المشاهدين لها عن غير رضا أو قبول لما يحدث بالطبع، ولم يكن متاحاً أكثر من الصباح لإظهار الاعتراض ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهم يشاهدون ما يفعل بكلام الله ﷻ

### الحديث الأول

أخرج ابن حبان في "صحيحه" (كتاب التاريخ، ذكر الإخبار عن وصف مصالحة المسلمين الروم) قال :- (أَخْبَرَنَا الْقَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ الْجَمْعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنِ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ عَنِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ ذِي مَخْبَرٍ ابْنِ أَبِي النَّجَّاشِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : تَصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا حَتَّى تَغْزُوا أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ فَتَنْصَرِفُونَ وَتَغْنَمُونَ ، وَتَنْصَرِفُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجِ ذِي ثُلُولٍ ، فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الرُّومِ : غَلَبَ الصَّلِيبُ ، وَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : بَلِ اللَّهُ غَلَبَ ، فَيَتَوَرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى صَلِيبِهِمْ وَهُوَ مِنْهُ غَيْرُ بَعِيدٍ فَيَدْفُئُهُ ، وَتَتَوَرُّ الرُّومُ إِلَى كَاسِرِ صَلِيبِهِمْ ، فَيَضْرِبُونَ عُنُقَهُ ، وَيَتَوَرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ ، فَيُكْرِمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّهَادَةِ ، فَتَقُولُ الرُّومُ لِصَاحِبِ الرُّومِ : كَفَيْتَاكَ الْعَرَبَ ، فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمُحَمَّةِ ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا . ) (٣٣)

### رواية أخرى للحديث الأول

وهذا الحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر) قال :- (بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنَ الْغَدْرِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى } وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ { الْآيَةَ حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : سَمِعْتُ بُسْرَ بْنَ عَبِيدَةَ اللَّهِ : أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ قَالَ : سَمِعْتُ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمِ ، فَقَالَ : اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ : مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَطْلُ سَاحِطًا ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا . ) (٣٤)

### في "فتح الباري بشرح البخاري"

ذكر ابن حجر في "فتح الباري بشرح البخاري" (٣٥) قال :- قَوْلُهُ: (بَابُ مَا يُحْذَرُ) بِضَمِّ أَوَّلِهِ مُخَفَّفًا وَمُثَقَّلًا (مِنَ الْغَدْرِ).

(٣٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٠١ / ١٥) برقم: (٦٧٠٨) (كتاب التاريخ، ذكر الإخبار عن وصف مصالحة المسلمين الروم)

(٣٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٠١ / ٤) برقم: (٣١٧٦) (كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر)

(٣٥) ابن حجر، "فتح الباري بشرح البخاري - ط السلفية" (٢٧٧ / ٦)

قَوْلُهُ: (وَقَوْلُ اللَّهِ عز وجل {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ} الْآيَةَ) هُوَ بِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى لَفْظِ الْعَدْرِ، وَحَسْبُ بِاسْتِكْنَانِ الْمُهْمَلَةِ أَيَّ كَافٍ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ احْتِمَالَ طَلَبِ الْعَدُوِّ لِلصُّلْحِ خَدِيعَةٌ لَا يَمْنَعُ مِنَ الْإِجَابَةِ إِذَا ظَهَرَ لِلْمُسْلِمِينَ، بَلْ يُعَزِّمُ وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ. ...

قَوْلُهُ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ) زَادَ فِي رِوَايَةِ الْمُؤَمَّلِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنِ الْوَلِيدِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ فَسَلَّمْتُ فَرَدًّا. فَقَالَ ادْخُلْ. فَقُلْتُ: أَكَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: كُلْكَ. فَدَخَلْتُ فَقَالَ الْوَلِيدُ قَالَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاتِكَةِ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ مِنْ صَعْرِ الْقُبَّةِ.

قَوْلُهُ: (سِتًّا) أَي سِتَّ عَلَامَاتٍ لِإِقْيَامِ السَّاعَةِ، أَوْ لِظُهُورِ أَشْرَاطِهَا الْمُفْتَرِيَةِ مِنْهَا.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ مَوْتَانِ) بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْوَاوِ، قَالَ الْفَرَّازِيُّ: هُوَ الْمَوْتُ. وَقَالَ غَيْرُهُ الْمَوْتُ الْكَثِيرُ الْوُفُوعِ، وَيُقَالُ بِالضَّمِّ لُغَةً تَمِيمٌ وَغَيْرُهُمْ يَفْتَحُونَهَا. وَيُقَالُ لِلْبَلِيدِ مَوْتَانُ الْقَلْبِ يَفْتَحُ الْمِيمِ وَالسُّكُونِ، وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: يَغْلُطُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فَيَقُولُ مَوْتَانُ يَفْتَحُ الْمِيمِ وَالْوَاوِ، وَإِنَّمَا ذَاكَ اسْمُ الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ تُحْيَا بِالرِّزْقِ وَالْإِصْلَاحِ.

(تَنْبِيْهُ)

فِي رِوَايَةِ ابْنِ السَّكَنِ ثَمَّ مَوْتَانِ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ وَحِينَئِذٍ فَهُوَ يَفْتَحُ الْمِيمِ.

قَوْلُهُ: (كَعْقَاصِ الْعَنَمِ) بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَتَخْفِيفِ الْقَافِ وَآخِرُهُ مُهْمَلَةٌ، هُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الدَّوَابَّ فَيَسِيلُ مِنْ أَنْوْفِهَا شَيْءٌ فَتَمُوتُ فَجَاءَةً. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَمِنْهُ أَخَذَ الْإِقْعَاصُ وَهُوَ الْقَتْلُ مَكَانَهُ. وَقَالَ ابْنُ قَارِسٍ: الْإِقْعَاصُ دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الصَّدْرِ كَأَنَّهُ يَكْسِرُ الْعُنُقَ. وَيُقَالُ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ظَهَرَتْ فِي طَاعُونَ عَمَوَاسٍ فِي خِلَافَةِ عَمَرَ وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ اسْتِفَاضَهُ الْمَالُ) أَي كَثُرَتْهُ، وَظَهَرَتْ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ عِنْدَ تِلْكَ الْفُتُوحِ الْعَظِيمَةِ، وَالْفِتْنَةِ الْمَشَارِ إِيَّهَا افْتُتِحَتْ بِقَتْلِ عُثْمَانَ، وَاسْتَمَرَّتِ الْفِتْنُ بَعْدَهُ، وَالسَّادِسَةُ لَمْ تَحِجْ بَعْدُ.

قَوْلُهُ: (هُدْنَةٌ) بِضَمِّ الْهَاءِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ بَعْدَهَا نُونٌ هِيَ الصُّلْحُ عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ بَعْدَ التَّحَرُّكِ فِيهِ.

قَوْلُهُ: (بَنِي الْأَصْفَرِ) هُمُ الرُّومُ.

قَوْلُهُ: (غَايَةٌ) أَي رَايَةٌ، وَسَمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا غَايَةُ الْمُتَّبِعِ إِذَا وَقَفَتْ وَقَفَ. وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ ذِي مِخْبَرٍ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْمُعْجَمَةِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ فِي نَحْوِ هَذَا الْحَدِيثِ بِلَفْظِ رَايَةٍ بَدَلِ غَايَةٍ.

وَفِي أَوَّلِهِ سَنُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا أَمَّا، ثُمَّ تَعْرُوزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا فَتُنصَرُونَ، ثُمَّ تَنْزِلُونَ مَرْجًا فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الصَّلِيبِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَقُومُ إِلَيْهِ فَيَدْفَعُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعْدِرُ الرُّومُ وَيَجْتَمِعُونَ لِلْمُلْحَمَةِ فَيَأْتُونَ فَذَكَرَهُ. وَلَإِنَّ مَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: إِذَا وَقَعَتِ الْمَلَاحِمُ بَعَثَ اللَّهُ بَعْثًا مِنَ الْمَوَالِي يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ، وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ مَرْفُوعًا: الْمُلْحَمَةُ الْكُبْرَى وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَخُرُوجُ الدَّجَالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ، وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رَفَعَهُ: بَيْنَ الْمُلْحَمَةِ وَفَتْحِ الْمَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ، وَيَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي السَّابِعَةِ وَإِسْنَادُهُ أَصَحُّ مِنْ إِسْنَادِ حَدِيثِ مُعَاذٍ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: رَوَاهُ بَعْضُهُمْ غَايَةً بِمُوحَّدَةٍ بَدَلِ التَّحْتَانِيَّةِ وَالغَايَةُ الْأَجْمَةُ كَأَنَّهُ شَبَّهَ كَثْرَةَ الرِّمَاحِ بِالْأَجْمَةِ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْغَايَةُ الْغَيْضَةُ، فَاسْتَعِيرَتْ لِلرَّايَاتِ تَرْفَعُ لِرُؤَسَاءِ الْجَيْشِ لِمَا يُشْرَعُ مَعَهَا مِنَ الرِّمَاحِ، وَجَمَلُهُ الْعَدَدُ الْمَشَارِ إِلَيْهِ تِسْعِمِائَةِ أَلْفٍ وَسِتُّونَ أَلْفًا، وَلَعَلَّ أَصْلَهُ أَلْفُ أَلْفٍ فَالْغَيْتُ كُسُورُهُ.

وَوَقَعَ مِثْلُهُ فِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ذِي مِخْبَرٍ، وَلَفْظُهُ: فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ، فَيَأْتُونَ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَابَةً تَحْتَ كُلِّ غَابَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَوَقَعَ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: نَدَاكَرْنَا هَذَا الْحَدِيثَ وَشِخْنَا مِنْ شُيُخِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَكَانَ فَتْحِ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ عُمَرَانَ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ قَالَ: الْمُهَلَّبُ فِيهِ أَنَّ الْعَدْرَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ. وَفِيهِ أَشْيَاءٌ مِنْ عِلَامَاتِ التُّبُوءَةِ قَدْ ظَهَرَ أَكْثَرُهَا. وَقَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ: أَمَا قِصَّةُ الرُّومِ فَلَمْ يَجْتَمِعْ إِلَى الْآنَ وَلَا بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ غَزَوْا فِي الْبَرِّ فِي هَذَا الْعَدَدِ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ تَقَعْ بَعْدُ. وَفِيهِ بِشَارَةٌ وَنِدَارَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ مَعَ كَثْرَةِ ذَلِكَ الْجَيْشِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عَدَدَ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ سَيَكُونُ أَضْعَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ. وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ لِلْحَاكِمِ مِنْ طَرِيقِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ لِبُعَاذِ بْنِ طَاعُونَ عَمَّوَسَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِي: اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ، فَقَدْ وَقَعَ مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ، يَعْنِي: مَوْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَتْحُ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ وَالطَّاعُونَ، قَالَ: وَبَقِيَ ثَلَاثٌ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: إِنَّ لِهَذَا أَهْلًا. وَوَقَعَ فِي الْفَتَنِ لِنُعَيْمِ بْنِ حَمَادٍ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ تَكُونُ فِي زَمَنِ الْمُهَدِيِّ عَلَى يَدِ مَلِكٍ مِنْ آلِ هِرَقْلَ. انتهى من كلامه ۞

## الحديث الثاني

أخرج مسلم في "صحيحه" (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال) قال :- (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ عَلِيَّةَ (وَاللَّفْظُ لِابْنِ حُجْرٍ)، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْعَدَوِيِّ، عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجَيْرِي إِلَّا: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، جَاءَتِ السَّاعَةُ. قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُفَسِّمَ مِيرَاثًا، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَنَحَاهَا نَحْوَ الشَّامِ. فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ. قُلْتُ: الرُّومُ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رِدَّةً شَدِيدَةً، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجِرَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَوْلًا وَهَوْلًا كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفَى الشَّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجِرَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَوْلًا وَهَوْلًا كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفَى الشَّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَوْلًا وَهَوْلًا كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفَى الشَّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتَتِلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قَالَ: لَا يَرَى مِثْلَهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يَرِ مِثْلَهَا حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَابَتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخْرَ مِيتًا، فَيَتَعَادُ بَنُو الْأَبِّ كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيٍّ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ، أَوْ أَيِّ مِيرَاثٍ يُقَاسِمُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسِ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيحُ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خِيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ. (٣٦)

## في "شرح صحيح مسلم" للنووي

قال النووي ۞ في "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" في شرحه لهذا الحديث (٣٧) :-

قَوْلُهُ: (فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجَيْرِي إِلَّا يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ) هُوَ بِكْسْرِ الْهَاءِ وَالْجِيمِ الْمُشَدَّدَةِ مَقْصُورُ الْأَلْفِ أَيُّ شَأْنُهُ وَدَأْبُهُ ذَلِكَ، وَالْهِجَيْرِي بِمَعْنَى الْهَجِيرِ.

(٣٦) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٧٧/٨) برقم: (٢٨٩٩) (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال)

(٣٧) شرح النووي على مسلم (الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ) (١٨ / ٢٤)

قَوْلُهُ: ( فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ) الشُّرْطَةُ بِضَمِّ الشَّيْنِ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَيْشِ تُقَدِّمُ لِلْقِتَالِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ : فَضَبَطُوهُ بِوَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا فَيَشْتَرِطُ بِمِثْنَاءِ تَحْتُ ثُمَّ شَيْنٍ سَاكِنَةٍ ثُمَّ مِثْنَاءِ فَوْقَ ، وَالثَّانِي ( فَيَتَشَرِّطُ ) بِمِثْنَاءِ تَحْتُ ثُمَّ مِثْنَاءِ فَوْقَ ثُمَّ شَيْنٍ مُفْتَوِّحَةٍ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ .

قَوْلُهُ: ( فَيَفِيءُ هَوْلًا وَهَوْلًا ) أَي يَرْجِعُ .

قَوْلُهُ: ( نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ) هُوَ بَفَتْحِ النُّونِ وَالْهَاءِ أَي نَهَضَ وَتَقَدَّمَ .

قَوْلُهُ: ( فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّيْرَةَ عَلَيْهِمْ ) بِفَتْحِ الدَّالِ وَالْيَاءِ أَي الْهَيْزِمَةَ ، وَرَوَاهُ بَعْضُ رُوَاةِ مُسْلِمٍ ( الدَّائِرَةُ ) بِالْأَلِفِ وَبَعْدَهَا هَمْزَةٌ ، وَهُوَ بِمَعْنَى الدَّيْرَةِ ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الدَّائِرَةُ هُمُ الدَّوْلَةُ تَدُورُ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَقِيلَ: هِيَ الْحَادِثَةُ .

قَوْلُهُ: ( إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَابَتِهِمْ فَمَا يَخْلِفُهُمْ حَتَّى يَخْرَ مَيِّتًا ) ( جَنَابَتِهِمْ ) بِجِيمٍ ثُمَّ نُونٍ مَفْتُوحَتَيْنِ ثُمَّ بَاءٍ مُوَحَّدَةٍ أَي نَوَاجِمِهِمْ ، وَحَكَى الْقَاضِي عَنْ بَعْضِ رُوَاتِهِمْ ( بِجُنَابَتِهِمْ ) بِضَمِّ الْجِيمِ وَإِسْكَانِ الْمُثَلَّثَةِ أَي شُخُوصِهِمْ . وَقَوْلُهُ: ( فَمَا يَخْلِفُهُمْ ) هُوَ بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ الْمُشَدَّدَةِ ، أَي يُجَاوِزُهُمْ . وَحَكَى الْقَاضِي عَنْ بَعْضِ رُوَاتِهِمْ: ( فَمَا يَلْحَقُهُمْ ) أَي يَلْحَقُ آخِرَهُمْ .

وَقَوْلُهُ: ( إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسِ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ ) هَكَذَا هُوَ فِي نُسْخِ بِلَادِنَا ( بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ ) بِبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ فِي بَأْسٍ ، وَفِي أَكْبَرٍ ، وَكَذَا حَكَاهُ الْقَاضِي عَنْ مُحَقِّقِي رُوَاتِهِمْ . وَعَنْ بَعْضِهِمْ: ( بِبَأْسٍ ) بِالنُّونِ أَكْبَرُ بِالْمُثَلَّثَةِ .

قَالُوا: وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ ، وَيُؤَيِّدُهُ رَوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ: ( سَمِعُوا بِأَمْرٍ أَكْبَرٍ مِنْ ذَلِكَ ) . انتهى من كلامه ﷺ

### من موقع "الدرر السنية" في شرح هذا الحديث (٣٨)

كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ أُمَّتَهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَفِتْنَةٍ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ بَعْضَ مَلَاحِظِ هَذِهِ الْفِتَنِ؛ حَتَّى يَكُونُوا عَلَى وَعْيٍ بِهَا، وَيَحْفَظُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ شَرِّهَا.

وفي هذا الحديث يزوي يُسَيِّرُ - وفي رواية: أُسَيِّرُ - بنُ جَابِرٍ أَنَّ رِيحًا حَمْرَاءَ، وَلَعَلَّ هَذَا لِاحْمَرَارِ لَوْنِ السَّمَاءِ، قَدْ هَاجَتْ تِلْكَ الرِّيحُ بِالْكَوْفَةِ -بِلَدَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ- فَاتَّارَ هَذَا الْفَرْعَ فِي النُّفُوسِ، «فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجَيْرِي» أَي: لَيْسَ شَأْنُهُ وَدَأْبُهُ إِلَّا تَكَرَّرَ النِّدَاءُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَائِلًا لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، «جَاءَتِ السَّاعَةُ» أَي: قَامَتِ الْقِيَامَةُ، وَفِي رِوَايَةٍ يَذْكَرُ يُسَيِّرُ أَنَّهُ كَانَ فِي بَيْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْبَيْتُ مُزْدَجِمٌ بَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ التَّابِعِينَ وَنَحْوِهِمْ، «فَقَعَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» أَي: اعْتَدَلَ فِي جِلْدِيَّتِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَكَبِّئًا، اِهْتِمَامًا بِالرَّجْلِ وَلَطْمَانَتِهِ مِنْ فَرَعِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْقِيَامَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَقَعَ مِنْ عِلَامَتِهَا قِتَالٌ شَدِيدٌ يَكْتُرُ فِيهِ الْقَتْلُ، بِحَيْثُ لَا يَرِغَبُ أَحَدٌ فِي الْمِيرَاثِ مِنْ كَثْرَةِ الْمُقْتُولِينَ، وَحَتَّى لَا يَفْرَحَ أَحَدٌ بِغَنِيمَةٍ، فَلَا يَفْرَحُ الْمُنْتَصِرُونَ بِمَا غَنِمُوا مِنَ الْأَمْوَالِ؛ لِكَثْرَةِ الْقَتْلِ فِي الْجَيْشِ، وَالْغَنِيمَةُ: هِيَ كُلُّ مَا أَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ عَلَى وَجْهِ الْعَلْبَةِ وَالْقَهْرِ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَكَذَا وَنَحَاها نَحْوَ الشَّامِ، يَعْنِي: أَشَارَ بِهَا فِي جِهَةِ بِلَادِ الشَّامِ -وهي الآنَ تَشْمَلُ: سُورِيَةَ، وَالْأُرْدُنَّ، وَفِلَسْطِينَ، وَلِبْنَانَ-، ثُمَّ قَالَ: «عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ» أَي: إِنَّ هَذَا الْعَدُوَّ يَجْمَعُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالشَّامِ لِمُقَاتَلَتِهِمِ الْعِتَادَ وَالسِّلَاحَ، وَيَجْمَعُ لَهُمِ الْمُسْلِمُونَ أَيْضًا الْعِتَادَ وَالسِّلَاحَ اسْتِعْدَادًا لِقِتَالِهِمْ وَدَفْعِهِمْ، ثُمَّ أَوْضَحَ أَنَّهُ يُرِيدُ بِالْعَدُوِّ الرُّومَ -وكانت من الممالك العظيمة آنذاك، وهم الآن: إيطاليا وما حَوْلَها-، قَالَ: «وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةً شَدِيدَةً»، أَي: رُجُوعٌ قَوِيٌّ بَعْدَ الْفَرِّ، أَوْ تَقَعُ صَوْلَةٌ شَدِيدَةٌ، «فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ» أَي: يُهَيِّتُونَ وَيَعِدُّونَ شُرْطَةً؛ وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَيْشِ تَتَقَدَّمُ لِلْقِتَالِ، وَتَشْهَدُ الْوَاقِعَةَ؛ سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَالْعِلَامَةِ لِلْجَيْشِ، وَالْمِرَادُ مِنْ

اشترطها للموت أنهم يعزمون على أن هذه الطائفة لا ترجع إلا غالباً، فيقتتل المسلمون والكفار حتى يمنع بينهم دخول الليل وظلامه فيتركون القتال، «فَيَفِيءُ هَوْلًا وَهَوْلًا»، أي: يرجع كل جيش من المسلمين والكفار إلى معسكره، وكل من الفريقين غير غالب وغير مغلوب، وهذا إشارة إلى استمرار القتال بينهم، وتفتى وتهلك الشرطة الأولى في اليوم الأول من القتال، ثم يقتتلون اليوم الثاني والثالث بمثل اليوم الأول، وفي كل يوم من تلك الأيام الثلاثة تتقدم طائفة من المسلمين شرطها الغلبة والنصر، فيقتلون جميعاً، والحاصل أنه يرجع معظم الجيش، وصاحب الرايات من الطرفين، ولم يكن لإجدها غلبة على الآخر، فإذا كان اليوم الرابع من القتال «نهتد إليهم»، أي: نهض وقام إلى قتال الكفار بقیة أهل الإسلام ممن بقي من الجيش، فهجموا عليهم جملة فيجعل الله الذبابة، أي: الهزيمة على الكفار، فيقتتل المسلمون والرؤم مقاتلة عظيمة لم يشاهد أو يعرف مثلها، حتى إن الطائر من الطيور ليريد المرور بجناياتهم ويتواجمهم، فلا يجاوزهم حتى «يخر»، أي: يسقط ميتاً؛ لطول مصارعهم وبعد مسافحها. قال: «فيتعاد بنو الأب» الواحد من المسلمين، والمعنى: أنه يحضر الحرب الجماعة كلهم أقارب كانوا مائة، فلا يبقى منهم إلا الرجل الواحد، وهو كناية عن قتل أغلبهم واستشهادهم في المعركة؛ ولذلك يعيد ابن مسعود قوله: «فبأي غنيمة يفرح؟ أو أي ميراث يقسم؟» وقد فقد الرجل كثيراً من أهله وأقاربه.

فبينما هم كذلك إذ سمع المسلمون «ببأس»، وهو الأمر الهائل، هو أعظم وأكبر من حرهم التي فرغوا منها، فجاءهم "الصريح" وهو صوت المستصرخ، وهو المستغيث، أن الدجال الكذاب قد خرج وخلفهم في ذراتهم، من النساء والأطفال، فلما سمعوا بخروجه أخذوا يتركون ويلقون ما في أيديهم، من الغنمة وسائر الأموال؛ فرعاً على الأهل والعيال، ويقبلون ويتوجهون إلى الدجال، فيبعثون، أي: يرسلون عشرة «قوارس»، جمع فارس، وهو الركب للفرس، ليكونوا «طليعة»: وهو من يبعث ليطلع على حال العدو، كالجواسيس، والمراد أن هؤلاء العشرة يسبقون الجيش ليطلعوا على الدجال ويخبروهم بحاله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف أسماءهم»، أي: العشرة وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم التي يركبونها إلى الدجال، وذكر صلى الله عليه وسلم في فضلهم أنهم خير قوارس، أو من خير قوارس على ظهر الأرض يومئذ؛ إذ بعثوهم طليعة لهم على الدجال.

والدجال من الدجال، وهو التغطية، سمي به؛ لأنه يغطي الحق بباطله، وهو شخص من بني آدم، يدعي الألوهية، وظهوره من العلامات الكبرى ليوم القيامة، يبتلي الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدرات الله تعالى: من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره، ونهره، وإتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تثبت فتثبت؛ فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته.

وفي الحديث: دليل من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم.

وفيه: بيان فتنة المسيح الدجال.

وفيه: بيان الملحمة الكبرى التي تقع قبل الدجال.

مسألة أصولية -: هذا الحديث له حكم الرفع (٣٩)

فإن قول الصحابي الذي لا مجال فيه للاجتهاد ولا له علاقة بلغة العرب له حكم الرفع، وذلك مثل الإخبار عن الأمور الماضية وقصص الأنبياء، والملاحم والفتن، وأحوال الآخرة، والإخبار عن ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص فكل هذا مما يحكم له بالرفع، لأنه لا مجال فيه للاجتهاد.

(٣٩) إسلام ويب، قول الصحابي.. متى يأخذ حكم المرفوع

وأما إذا كان قوله مما له علاقة بالأحكام الشرعية أو كان تفسير لفضلة من القرآن، فهذا يرد عليه احتمال أن يكون من باب الاجتهاد في النص، أو النقل من لسان العرب، فلا يجزم والحالة هذه برفعه.

وهذا هو ما حرره الحافظ ابن حجر رحمه الله، وذكر أنه معتمد خلق كثير من كبار الأئمة كالبخاري ومسلم والشافعي والطبري والطحاوي والبيهقي وابن عبد البر وغيرهم.

إلا أنهم استثنوا من ذلك من كان من الصحابة معروفاً بالاطلاع على الإسرائيليات كمسلمة أهل الكتاب وبعض الصحابة الآخرين كعبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان قد حصل في وقعة اليرموك على كتب كثيرة من أهل الكتاب، فكان يحدث بما فيها من أخبار الأمم السابقة والأنبياء، وغير ذلك من الوقائع والأحداث.

### الحديث الثالث

أخرج مسلم في "صحيحه" (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال) قال:- (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكْمَةِ، فَأَيْمَنُوا لِقِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: إِنَّهُمْ قَوْمٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا نَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ.) (٤٠)

### الحديث الرابع

أخرج مسلم في "صحيحه" (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت) قال:- (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ.) (٤١)

(٤٠) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٧٨/٨) برقم: (٢٩٠٠) (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال)

(٤١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٨٨/٨) برقم: (٢٩٢٢) (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت)



## المبحث العاشر :- أقسام الناس في التعامل مع هذه الجريمة النكراء

من الممكن أن نلخص ردود الأفعال على أربعة أقسام

### القسم الأول :- التجاهل والتغافل والسلبية التامة واللامبالاة

للأسف يظن البعض أنه لا شيء بيدنا نفعله أو نقدمه فيكون التجاهل التام أو السلبية التامة هي الرد، ولا نقول بالطبع أن من يفعل هذا لا يحب دينه ولا ينفعل معه، لكن للأسف تكمن المشكلة في أن تكرار مثل هذه الحادثة دون أن يكون هناك تفاعل شخصي معها قد يؤدي مستقبلاً إلى التعامل مع الأمر وكأنه شيء عادي، ومن الواضح بقوة أن هذا هدف يريدون الوصول إليه من خلال تكرار هذه الحوادث في فترات زمنية متقاربة وتقنياتها واختيار الزمان والمكان لتنفيذها، ولنكن واضحين أن هذا الحدث الجسيم يترك ولا شك أثراً في نفس المسلم، ولا بد أن يكون هناك طريقة واضحة فعالة صحيحة للتعامل مع مثل هذا الحدث، وأنه من الخطأ الجسيم أن يمر الأمر هكذا دون تفاعل واضح.

### القسم الثاني :- الغضب الشديد المؤدي إلى انفعال عابر يعقبه لا شيء

يطغى الغضب الشديد النابع من شدة المحبة وعظم الجريمة وقوة التفاعل معها إلى أن يسلك الشخص سلوكاً لا يؤدي إلى أية نتيجة فاعلة أو فعالة أو إيجابية، مثل الصراخ والصياح، وقد كان هذا أسلوباً متبعاً في كثير من الأحداث في الفترة السابقة، فعلى سبيل المثال في ٢٧ فبراير / شباط ٢٠٠٣ شارك الآلاف المعارضين في تجمع احتجاجي في استاد القاهرة للتعبير عن رفض الغزو الأمريكي للعراق، وبعدها بأيام دعا الحزب الوطني الحاكم وقتها إلى تجمع آخر في الاستاد ذاته، حيث شارك بحسب تقديرات إعلامية وقتها نحو نصف مليون شخص في التجمع الذي أُقيم في ٥ مارس / آذار ٢٠٠٣<sup>(٤٢)</sup> فيجتمع هذا العدد الكبير وأغلبهم من الشباب الذي يصيح ويهتف بأعلى صوته بالساعات رافضاً ما يحدث، ثم ماذا تكون النتيجة؟ أن يعود إلى بيته في نهاية يومه متعباً لينام بعدها بضعة أيام، ثم لا شيء.

وقد يكون الصراخ والصياح بشكل يبدو في ظاهره أكثر زُقياً كما كان في التجمع الذي تم عقب الجريمة النكراء<sup>(٤٣)</sup> ثم ماذا تكون النتيجة بعدها؟ تكرار الجريمة النكراء بعدها بأيام قليلة ولا حول ولا قوة إلا بالله

### القسم الثالث :- الخطب الحماسية

إن انتشار الخطب الحماسية غير المدروسة قد يكون له تأثير سلبي على غير المرجو وهذا على عكس ما يتوقعه البعض،

- لأن الخطبة الحماسية يُخرج معها الشخص ما يجد من مشاعر سلبية لديه ثم لا يتحول هذا الشعور إلى عمل ملموس، بل على العكس قد يكون هناك شعور بالرضا لمجرد تفرغ الشحنة الحماسية السلبية والتي كان يشعر الشخص معها بالضيق والضجر
- وقد يكون للخطبة الحماسية ضرر آخر، وهو شحن الشخص بمشاعر مختلفة متضاربة دون توجيه واضح لما يجب عليه أن يقوم به، فتجده بعد انتهاء الخطبة وانقضائها يزداد حيرة أو اكتئاباً أو يُقدم على أفعال غير مسؤولة تكون أحياناً مخالفة لشرع ربنا ﷺ وسنة نبينا محمد ﷺ لأنه قد تم تحميله بمشاعر إضافية فوق المشاعر التي دخل بها الخطبة، أو لأنه

(٤٢) سيوتنيك عربي – أخبار الدول العربية والعالم (من القاهرة هنا بغداد... هكذا عبر الشعب المصري عن رفض الغزو الأمريكي للعراق)

(٤٣) من ذلك على سبيل المثال لا الحصر

• [شاهد! مئات المتظاهرين يتلون القرآن بمدينة ملو في السويد](#)

• [مظاهرة منددة بحرق نسخة من القرآن بمدينة ستوكهولم في السويد](#)

تم استثارته لأمر لم يكن ذا بال لديه، ثم لم يجد حلا عمليا واقعيا مناسبا بين يديه أو لا يجد منفذا عمليا يمارس فيه ما يظنه حلا، فلم يُقَدِّم إليه غالبا حل نافع مناسب جامع

وفي الغالب تكون خاتمة هذه الخطبة الحماسية بدعاء أكثر حماسة، يقينا فيه الخير كل الخير إن كان بضوابطه الشرعية، يكفيها قول ربنا ﷺ

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٤٤]

• ولكن للأسف فإن علاقة كثير من المسلمين بالدعاء هي ما يمكن أن نسميه (العلاقة الشَّرطية) (٤٤) والتي من مظاهرها:- دعوت فلم يُستجب، ويصاحب هذه الجملة قناعة داخلية بأن هذه الدعوات من المفروض أنها كافية لتَغْيِيرِ الحال، ولكن لم يتغير، وهذا له أثر خطير قد يصل إلى الانصراف عن الدعاء ويصل إلى سوء الظن بالله ﷻ وسوء الظن من أكبر الكبائر ولا شك (٤٥) ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه للأسف من أخطر المشاكل، وتفصيل المسألة باتساع في أبواب أدب الدعاء مع الله ﷻ

• والأمر الثاني أن الشخص قد يظن أن بعد هذه الخطبة الحماسية والدعاء قد أدى المطلوب منه وانتهى الأمر عند هذه النقطة، والخطورة في هذا الأمر أن يشعر بسلام داخلي بما أنه قد أدى المطلوب منه، بل قد يظن أنه أسهم إسهاما لم يقم به غيره ممن لم يلتفت إلى المسألة برمتها، أو ممن لم يحضر هذه الخطبة معه وصلى الجمعة في مسجد آخر مثلا.

تنبيه:- فضل الدعاء وأهميته

وانتبه لنقطة هامة هو أنه لا يوجد مسلم يُقلل من الدعاء، أخرج ابن حبان في "صحيحه" (كتاب الرقائق، ذكر البيان بأن دعاء المرء ربه في الأحوال من العبادة التي يتقرب بها إلى الله جل وعلا) قال:- (أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَيْثِمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ ذَرٍّ عَنْ يُسَيْعِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٤٤] (٤٦) فلنتأمل الكلام في سياقه لنقف على المقصود والله المستعان

### القسم الرابع:- ما نستقيه من سيرة رسول الله ﷺ

إن سيرة رسول الله ﷺ هي التطبيق العملي لما أنزل الله ﷻ من الوحي في القرآن الكريم، ولم لا، والله ﷻ يقول في محكم التنزيل ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠٤] وأخرج أحمد في "مسنده" (مسند عائشة رضي الله عنها)، قال:- (حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُبَارَكٌ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}؟ قُلْتُ: فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّلَ، قَالَتْ: لَا تَفْعَلْ، أَمَا تَقْرَأُ: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}؟ فَقَدْ تَرَوَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وُلِدَ لَهُ. (٤٧) ولا نزع هنا أن هذا المُقترح هو سنة رسول الله ﷻ في هذه المسألة، ولكن هو مقترح عملي

(٤٤) للمزيد عن أصل هذه الفكرة [في حسن الظن بالله ٤: لا تكن حشرطيا مع الله- د. إباد قنبي](#)

(٤٥) للمزيد يمكن الاطلاع على (الظن بالله ﷻ) والذي يصدر قريبا للمصنف - إن شاء الله -

(٤٦) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣/ ١١٢٢) برقم: (٨٩٠) (كتاب الرقائق، ذكر البيان بأن دعاء المرء ربه في الأحوال من العبادة التي يتقرب بها إلى الله جل وعلا)

(٤٧) أخرجه أحمد في "مسنده" (١١/ ٥٩٤٧) برقم: (٢٥٢٤٠) (مسند عائشة رضي الله عنها).

يراعي المتاح في الوضع الراهن، إلى أن يقضي الله ﷻ أمرا كان مفعولا، فإن المتأمل للمرحلة الحالية التي يمر بها المسلمون يجد أن فيها كثيرا من الشبه القريب بالمرحلة المكية والتي كان من أبرز سماتها أنها مرحلة استضعاف ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونحن إذ نذكر بعض الأدلة على تفصيلات المقترح إلا أننا نوجز بعون الله قدر الاستطاعة، ولنتصور طرفا من هذه المرحلة فإننا نورد طرفا من الحديث والأثر.

### الحديث الأول

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب الوضوء، باب إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو جيفة) قال :- (حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ (ح). قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا شُرَيْحُ بْنُ مَسْلَمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَوْسُفَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فَلَانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَأَنْبَغَتْ أَشَقَى الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ. قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِفَرِيئِشِ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَعَى: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ يَا بِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ". وَعَدَّ السَّايِعَ، فَلَمْ يَحْفَظْهُ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرَخِي فِي الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ). (٤٨)

### الحديث الثاني

أخرج البخاري في "صحيحه" قال :- (حَدَّثَنَا زَيْدٌ هُوَ ابْنُ أَخْرَمَ قَالَ أَبُو فُتَيْبَةَ سَلَّمَ بِنُ فُتَيْبَةَ حَدَّثَنِي مُتَّى بْنُ سَعِيدٍ الْقَصِيرُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو جَمْرَةَ قَالَ قَالَ لَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَلَا أَخْبَرْتُمْ بِإِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْنَا بَلَى قَالَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ فَبَلَّغْنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقُلْتُ لِأَخِي انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمَهُ وَأْتِنِي بِخَبْرِهِ فَاَنْطَلِقَ فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَقُلْتُ مَا عِنْدَكَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ فَقُلْتُ لَهُ لِمَ تَشْفِينِي مِنَ الْخَبْرِ فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصَا ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ قَالَ فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاَنْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ قَالَ فَاَنْطَلَقْتُ مَعَهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلَا أَخْبِرُهُ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ عَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ قَالَ فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ انْطَلِقْ مَعِي قَالَ فَقَالَ مَا أَمْرُكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ قَالَ قُلْتُ لَهُ إِنْ كَتَمْتُ عَلِيَّ أَخْبَرْتُكَ قَالَ فَإِنِّي أَفْعَلُ قَالَ قُلْتُ لَهُ بَلَّغْنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَاهُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِينِي مِنَ الْخَبْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ فَقَالَ لَهُ أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشِدْتَ هَذَا وَجِهِي إِلَيْهِ فَاتَّبِعِي ادْخُلِي حَيْثُ ادْخُلِي فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ فَمُنْتُ إِلَى الْحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَأَمْضِ أَنْتِ فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْتُ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ اعْرِضْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي فَقَالَ لِي يَا أَبَا ذَرٍّ أَكُنْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ فَقُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِأَصْرَحَنَّ بِنَا بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَفَرِيئِشُ فِيهِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ فَرِيئِشِ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَقَالُوا قَوْمُوا إِلَى هَذَا الصَّابِ فَقَامُوا فَضْرِبْتُ لِأُمُوتَ فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَكَابَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ

(٤٨) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٥٧) برقم: (٢٤٠) (كتاب الوضوء، باب إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو جيفة)

رَجُلًا مِنْ غِفَارَ وَمَتَجَرُّكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ فَأَقْلَعُوا عَنِّي فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ فَقَالُوا قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّبَائِ فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالْأَمْسِ وَأَذْرَكْنِي الْعَبَّاسُ فَأَكْبَبَ عَلَيَّ وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ قَالَ فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ . (٤٩)

### من الأثر

أورد ابن إسحاق في "السير والمغازي" (باب ما جاء في أول من جهر بالقرآن بمكة) قال :- (نا يونس عن محمد بن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام عن أبيه قال: كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن آذوه، فقال: دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني، فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في انديتها حتى قام عند المقام فقال رافعاً صوته: بسم الله الرحمن الرحيم «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ» فاستقبلها فقرأها، فتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد، ثم قالوا: إنه يتلو بعض ما جاء به محمد- صلى الله عليه وسلم - فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله قط أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغاديتهم بمثلها غداً، قالوا: حسبك قد أسمعتم ما يكرهون.

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن المطعم قال: كان أول من أفشى القرآن بمكة وعُدِّبَ في رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٥٠).

(٤٩) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/ ١٨٢) برقم: (٣٥٢٢) (كتاب المناقب، باب قصة زمزم)

(٥٠) محمد بن إسحاق بن يسار المطلي بالولاء، المدني (ت ١٥١هـ) "سيرة ابن إسحاق = السير والمغازي" (دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) (ص ١٨٦)

## المبحث الحادي عشر :- الدين النصيحة

### الحديث الأول

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة) قال :- (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى { إِذَا نَصَحُوا لِيهِ وَرَسُولِهِ } حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالتَّصْحِيحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . (٥١)

### في "فتح الباري بشرح البخاري" في هذا الحديث

ذكر ابن حجر في "فتح الباري بشرح البخاري" عند هذا الحديث (٥٢) :-

قَوْلُهُ: (بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ) هَذَا الْحَدِيثُ أوردَهُ الْمُصَنِّفُ هُنَا تَرْجَمَةً بَابٍ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ مُسَدَّدًا فِي هَذَا الْكِتَابِ لِكَوْنِهِ عَلَى غَيْرِ شَرْطِهِ، وَتَبَّهَ بِإِيرَادِهِ عَلَى صَلَاحِيَّتِهِ فِي الْجُمْلَةِ، وَمَا أوردَهُ مِنَ الْآيَةِ وَحَدِيثِ جَرِيرٍ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ...

قَوْلُهُ: (الدِّينُ: النَّصِيحَةُ) يُحْتَمَلُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ، أَي: مُعْظَمُ الدِّينِ النَّصِيحَةُ، كَمَا قِيلَ فِي حَدِيثِ: الْحَجُّ عَرَفَةٌ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَمْ يَرِدْ بِهِ عَامِلُهُ الْإِخْلَاصَ فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ. وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: النَّصِيحَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ نَصَحْتَ الْعَسَلَ إِذَا صَفَيْتُهُ، يُقَالُ: نَصَحَ السَّيِّءُ إِذَا خُلِصَ، وَنَصَحَ لَهُ الْقَوْلُ إِذَا أَخْلَصَهُ لَهُ. أَوْ مُشْتَقَّةٌ مِنَ النَّصْحِ وَهِيَ الْخِيَاطَةُ بِالْمِنْصَحَةِ وَهِيَ الْإِبْرَةُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَلْمُ شَعَثَ أَخِيهِ بِالنُّصْحِ كَمَا تَلْمُ الْمِنْصَحَةَ، وَمِنْهُ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ، كَأَنَّ الدَّنْبَ يَمْرُقُ الدِّينَ وَالتَّوْبَةُ تَخِيطُهُ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْحِظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، وَهِيَ مِنْ وَجِيزِ الْكَلَامِ، بَلْ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ تُسْتَوْفَى بِهَا الْعِبَارَةُ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ. وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي قِيلَ فِيهَا: إِنَّهَا أَحَدُ أَرْبَاعِ الدِّينِ، وَمِمَّنْ عَدَّهُ فِيهَا الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: بَلْ هُوَ وَحْدَهُ مُحْصَلٌ لِعَرَضِ الدِّينِ كُلِّهِ؛ لِأَنَّهُ مُنْحَصَرٌّ فِي الْأُمُورِ الَّتِي ذَكَرَهَا: فَالنَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَصَفُهُ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَالْخُضُوعُ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَالرَّغْبَةُ فِي مَحَابَّتِهِ بِفِعْلِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةُ مِنْ مَسَاحِطِهِ بِتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ، وَالْجِهَادُ فِي رَدِّ الْعَاصِينَ إِلَيْهِ.

وَرَوَى الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ زُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي ثَمَامَةَ صَاحِبِ عَلِيِّ قَالَ: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رُوحَ اللَّهِ مِنَ النَّاصِحِ لِلَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يُقَدِّمُ حَقَّ اللَّهِ عَلَى حَقِّ النَّاسِ. وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَلُّمُهُ، وَتَعْلِيمُهُ، وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التَّلَاوَةِ، وَتَحْرِيرُهَا فِي الْكِتَابَةِ، وَتَقَرُّهُمُ مَعَانِيهِ، وَحِفْظُ حُدُودِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَذُبُّ تَحْرِيفِ الْمُبْطِلِينَ عَنْهُ. وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ تَعْظِيمُهُ، وَنَصْرُهُ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ بِتَعْلِيمِهَا وَتَعْلِيمِهَا، وَالْإِفْتِدَاءُ بِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَمَحَبَّتُهُ وَمَحَبَّةُ أَتْبَاعِهِ. وَالنَّصِيحَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ إِعَانَتُهُمْ عَلَى مَا حَمَلُوا الْقِيَامَ بِهِ، وَتَنْبِيهِهُمْ عِنْدَ الْعَفْلَةِ، وَسَدُّ خَلَّتِهِمْ عِنْدَ الْهَفْوَةِ، وَجَمْعُ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِمْ، وَرَدُّ الْقُلُوبِ النَّافِرَةِ إِلَيْهِمْ، وَمِنْ أَعْظَمِ نَصِيحَتِهِمْ دَفْعُهُمْ عَنِ الظُّلْمِ بِأَلْيِ هِيَ أَحْسَنُ. وَمِنْ جُمْلَةِ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ أَيْمَةُ الْإِجْتِهَادِ، وَتَقَعُ النَّصِيحَةُ لَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ عَلُومِهِمْ، وَنَشْرُ مَنَاقِبِهِمْ، وَتَحْسِينِ الظَّنِّ بِهِمْ. وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ الشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ، وَالسَّغْيُ فِيَمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ، وَتَعْلِيمُهُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ، وَكَفُّ وَجُوهِ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ.

(٥١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢١) برقم: (٥٧) (كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة)

(٥٢) ابن حجر، "فتح الباري بشرح البخاري - ط السلفية" (١ / ١٣٩)

وفي الحديث فوائد أخرى: منها أن الدين يُطلق على العمل لكونه سعى النصيحة ديناً، وعلى هذا المعنى بنى المصنف أكثر كتاب الإيمان، ومنها جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب من قوله قلنا لمن؟ انتهى من كلامه ۞

## الحديث الثاني

أخرج مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) قال:- (حدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ: قُلْتُ لِسُهَيْلٍ: إِنَّ عَمْرًا، حَدَّثَنَا عَنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِيكَ، قَالَ: وَرَجَوْتُ أَنْ يُسْقِطَ عَنِّي رَجُلًا، قَالَ: فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنَ الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنْهُ أَبِي كَانَ صَدِيقًا لَهُ بِالشَّامِ، ثُمَّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ.)<sup>(٥٣)</sup>

## في "شرح صحيح مسلم للنووي" في هذا الحديث

ذكر النووي ۞ في "المهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" عند ذكر هذا الحديث (٥٤):-

وَأَمَّا شَرْحُ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْحِظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ. قَالَ: وَيُقَالُ: هُوَ مِنْ وَجِيزِ الْأَسْمَاءِ، وَمُخْتَصِرِ الْكَلَامِ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ يُسْتَوْفَى بِهَا الْعِبَارَةُ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ. كَمَا قَالُوا فِي الْفَلَاحِ: لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ أَجْمَعٌ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهُ. قَالَ: وَقِيلَ: النَّصِيحَةُ مَا خُوذَتْ مِنْ نَصَحِ الرَّجُلِ نُوْبَهُ إِذَا خَاطَهُ. فَشَبَّهُوا فِعْلَ النَّاصِحِ فِيمَا يَتَحَرَّاهُ مِنْ صَلَاحِ الْمَنْصُوحِ لَهُ بِمَا يَسُدُّهُ مِنْ خَلَلِ الثُّوبِ. قَالَ: وَقِيلَ: إِنَّهَا مَا خُوذَتْ مِنْ نَصَحَتِ الْعَسَلِ إِذَا صَفَّقِيَتْهُ مِنَ الشَّمْعِ، شَبَّهُوا تَخْلِيصَ الْقَوْلِ مِنَ الْغِشِّ بِتَخْلِيصِ الْعَسَلِ مِنَ الْخَلْطِ. قَالَ: وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: عِمَادُ الدِّينِ وَقِيَامُهُ النَّصِيحَةُ. كَقَوْلِهِ: الْحَجَّ عَرَفَهُ أَيَّ عِمَادُهُ وَمُعْظَمُهُ عَرَفَهُ.

وَأَمَّا تَفْسِيرُ النَّصِيحَةِ وَأَنْوَاعُهَا فَقَدْ ذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ وَعَبَّرَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِيهَا كَلَامًا نَفِيْسًا أَنَا أَضْمُّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ مُخْتَصِرًا. قَالُوا: أَمَّا النَّصِيحَةُ لِلَّهِ تَعَالَى فَمَعْنَاهَا مُنْصَرِفٌ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَتَفْيِ الشَّرِيكِ عَنْهُ، وَتَرْكُ الْإِلْحَادِ فِي صِفَاتِهِ وَوَصْفِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ كُلِّهَا، وَتَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ، وَالْقِيَامُ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابُ مَعْصِيَتِهِ، وَالْحُبُّ فِيهِ، وَالْبُغْضُ فِيهِ، وَمُؤَالَاة مَنْ أَطَاعَهُ، وَمُعَادَاة مَنْ عَصَاهُ، وَجِهَادٌ مَنْ كَفَرَ بِهِ، وَالْإِعْتِرَافُ بِنِعْمَتِهِ، وَشُكْرُهُ عَلَيْهَا، وَالْإِخْلَاصُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَالِدُّعَاءُ إِلَى جَمِيعِ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ، وَالْحَبْثُ عَلَيْهَا، وَالتَّلَطُّفُ فِي جَمِيعِ النَّاسِ، أَوْ مَنْ أَمَكْنَ مِنْهُمْ عَلَيْهَا.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَبْدِ فِي نُصْحِهِ نَفْسَهُ، فَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ نُصْحِ النَّاصِحِ. وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَالْإِيمَانُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيلُهُ، لَا يُشَبَّهُهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْخَلْقِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، ثُمَّ تَعْظِيمُهُ وَتِلَاوَتُهُ حَقًّا تِلَاوَتِهِ، وَتَحْسِينُهَا وَالْخُشُوعُ عِنْدَهَا، وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التِّلَاوَةِ، وَالدَّبُّ عَنْهُ لِتَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ وَتَعَرُّضِ الطَّاعِينَ، وَالتَّصَدِيقُ بِمَا فِيهِ، وَالْوُقُوفُ مَعَ أَحْكَامِهِ، وَتَفَهُمُ عُلُومِهِ وَأَمْثَالِهِ، وَالْإِعْتِبَارُ بِمَوَاعِظِهِ، وَالتَّفَكُّرُ فِي عَجَائِبِهِ، وَالْعَمَلُ بِمُحْكَمِهِ، وَالتَّسْلِيمُ لِتَسَابِيهِهِ، وَالبَحْثُ عَنْ عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَنَشْرُ عُلُومِهِ، وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ وَإِلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ نَصِيحَتِهِ.

وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَصَدِيقُهُ عَلَى الرِّسَالَةِ، وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ، وَطَاعَتُهُ فِي أَمْرِهِ وَتَنْزِيهِهِ، وَنُصْرَتُهُ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَمُعَادَاة مَنْ عَادَاهُ، وَمُؤَالَاة مَنْ وَالَاهُ، وَإِعْظَامُ حَقِّهِ، وَتَوْقِيرُهُ، وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ وَسُنَّتِهِ، وَبَثُّ دَعْوَتِهِ، وَنَشْرُ شَرِيعَتِهِ، وَتَفْيِ الْهَيْمَةِ عَنْهَا، وَاسْتِنَارَةُ عُلُومِهَا، وَالتَّفَقُّهُ فِي مَعَانِيهَا، وَالدُّعَاءُ إِلَيْهَا، وَالتَّلَطُّفُ فِي تَعَلُّمِهَا وَتَعْلِيمِهَا، وَإِعْظَامُهَا، وَإِجْلَالُهَا

(٥٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٣) برقم: (٥٥) (كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون)

(٥٤) النووي، "شرح النووي على مسلم" (٢ / ٣٧)

، والتأدب عند قراءتها ، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لأنسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بإدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته ، أو تعرض لأحد من أصحابه ، ونحو ذلك .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، وتنبئهم وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم ، وتألف قلوب الناس لطاعتهم . قال الخطابي - رحمه الله -: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، وأداء الصدقات إليهم ، وترك الخروج بالسيب عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح . وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمر المسلمين من أصحاب الولايات . وهذا هو المشهور . وحكاة أيضا الخطابي . ثم قال : وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين ، وأن من نصيحتهم قبول ما رزوه ، وتقليدكم في الأحكام ، وإحسان الظن بهم .

وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولادة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم ، وكف الأذى عنهم فاعلمهم ما يجهلونه من دينهم ، ويعيبهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع لهم ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيمهم عن المنكر برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم ، وتوقير كبيرهم ، ورحمة صغيرهم ، وتحولهم بالموعظة الحسنة ، وترك غشيمهم وحسدهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه ، والدب عن أموالهم وأعراضهم ، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل ، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة ، وتنشيطهم إلى الطاعات . وقد كان في السلف - رضي الله عنهم - من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه . والله أعلم .

هذا آخر ما تلخص في تفسير النصيحة . قال ابن بطال - رحمه الله - في هذا الحديث : إن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً وإن الدين يقع على العمل كما يقع على القول . قال : والنصيحة فرض يجزي فيه من قام به ، ويسقط عن الباقي . قال : والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ، ويطلع أمره ، وأمن على نفسه المكروه . فإن حثي على نفسه أدى فهو في سعة . والله أعلم .

وأما حديث جرير - رضي الله عنه - ( قال : بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم ) وفي الرواية الأخرى : ( على السمع والطاعة فلقنتني فيما استطعت ) وإنما اقتصر على الصلاة والزكاة لكونهما قرينتين ، وهما أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وأظهرها . ولم يذكر الصوم وغيره لدخولها في السمع والطاعة .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : ( فيما استطعت ) موافق لقوله تعالى : ( لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ) والرواية ( استطعت ) بفتح التاء . وتلقينها من كمال شفقتيه - صلى الله عليه وسلم - إذ قد يعجز بعض الأحوال . فلو لم يقيد بما استطاع لأخل بما التزم في بعض الأحوال . والله أعلم .

ومما يتعلق بحديث جرير منقبة ومكرمة لجرير - رضي الله عنه - رواها الحافظ أبو القاسم الطبراني بإسناده . اختصارها : أن جريراً أمر مولاه أن يشتري له فرساً فاشترى له فرساً بثلاثمائة درهم ، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن ، فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك خير من ثلاثمائة درهم . أتبعه بأربعمائة درهم ؟ قال ذلك إليك يا أبا عبد الله . فقال : فرسك خير من ذلك . أتبعه بخمسمائة درهم ؟ ثم لم يزل يزيد مائة ، فمائة ، وصاحبه يرضى ، وجرير يقول : فرسك خير ، إلى أن بلغ ثمانمائة درهم . فاشتراه بها . فقيل له في ذلك ، فقال : إني بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على النصح لكل مسلم . والله أعلم . انتهى من كلامه ۞

## المبحث الثاني عشر - واجبتنا تجاه ما يحدث

### الحديث الأول: ما علاقتي بهذا الأمر ؟

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ) قال :- ( حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ : حَدَّثَنَا زَكْرِيَاءُ قَالَ : سَمِعْتُ عَامِرًا يَقُولُ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤَدِّ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِن يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِن أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا . ) (٥٥)

### الحديث الثاني: هل ممكن أن تكون معصيتي سبب نزول العقاب والبلاء بالأمة ؟

أخرج مسلم في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير ، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ) قال :- ( وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ مَعْمَرٍ . ( ح ) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، ( وَاللَّفْظُ لَهُ ) . حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ : لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَّ بِهَا ، وَمَلَأَ يَدَيْهِ ، وَمَلَأَ يَدَيْهَا ، وَلَا آخَرَ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا ، وَمَلَأَ يَدَيْهَا ، وَلَا آخَرَ قَدْ اشْتَرَى غَنَمًا ، أَوْ خِلْفَاتٍ ، وَهُوَ مُنْتَظَرٌ وَلَدَاهَا . قَالَ : فَغَزَا ، فَأُذِنَ لِلْقَرِيَةِ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ : أَنْتِ مَا مَأْمُورَةٌ ، وَأَنَا مَأْمُورٌ ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا ، فَحَبَسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَجَمَعُوا مَا غَنِمُوا ، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ لِتَأْكُلَهُ ، فَأَبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ ، فَقَالَ : فِيكُمْ غُلُولٌ ، فَلْيَبَايِعُنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ ، فَبَايَعُوهُ فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ فَقَالَ : فِيكُمْ الْغُلُولُ ، فَلْيَبَايِعُنِي قَبِيلَتِكَ ، فَبَايَعْتُهُ ، قَالَ : فَلَصِقَتْ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، فَقَالَ : فِيكُمْ الْغُلُولُ ، أَنْتُمْ غَلَلْتُمْ ، قَالَ : فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ : فَوَضَعُوهُ فِي الْمَالِ وَهُوَ بِالصَّعِيدِ ، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهُ ، فَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَطَيَّبَهَا لَنَا . ) (٥٦)

محل الشاهد :- غلول رجلين أو ثلاثة منع قبول الغنائم من قوم معهم نبيهم يغزون في سبيل الله ﷺ

### الحديث الثالث: هل ممكن أن يكون لي دور في نجاة هذه الأمة ؟

أخرج مسلم في "صحيحه" (كتاب الزهد والرقائق ، باب قصة أصحاب الأخدود ) قال :- ( حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ صُهَيْبٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ ، فَلَمَّا كَبُرَ قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ ، فَأَبَعْتُ إِلَيْ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السِّحْرَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ ، فَفَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَى ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ ، فَقَالَ : إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي ، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ : حَبَسَنِي السَّاحِرُ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ ، فَقَالَ : الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلَ أَمِ الرَّاهِبَ أَفْضَلَ . فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِن كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ ، فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ . فَرَمَاهَا فَفَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : أَيُّ بَنِي ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي ، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى ، فَإِن ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ . وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ : مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِذْ أَنْتَ

(٥٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٣٩) برقم: (٢٤٩٣) (كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه )

(٥٦) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٥ / ١٤٥) برقم: (١٧٤٧) (كتاب الجهاد والسير ، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة )



شَفَيْتِي . فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ ، فَأَمَنْ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ : رَبِّي . قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ . فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيُّ بَنِي ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى ، فَدَعَا بِالْمُنْشَارِ فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى ، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا ، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمِ شَنْتِ . فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا ، وَجَاءَ يَمِثِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ . فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي فُرْقُورٍ ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ ، وَإِلَّا فَأَقْرِفُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمِ شَنْتِ . فَأَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا ، وَجَاءَ يَمِثِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ . فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ . قَالَ : وَمَا هُوَ؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِدْعٍ ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ قُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ ارْزُمِي ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي . فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ قَالَ : بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ . فَقَالَ النَّاسُ : أَمَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، أَمَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، أَمَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، أَمَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ . فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ ، قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ . فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكِّكَ فَخُدَّتْ ، وَأَضْرَمَ التَّيْرَانَ وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا ، أَوْ قَبِلْ لَهُ أَفْتَحِمَ . فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا ، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ : يَا أُمَّهُ ، اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ . (٥٧)

## من واجبنا تجاه جريمة حرق المصحف

عشر واجبات تمثل- إن شاء الله - منظومة متكاملة مستوحاة من القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ نستعرضها في نقاط سريعة موجزة، ثم يأتي التفصيل - إن شاء الله - مع ذكر ما يتيسر من الأدلة

١. واجبنا مع الله ﷻ
٢. واجبنا مع كتاب الله ﷻ
٣. واجبنا مع رسول الله ﷺ
٤. واجبنا مع أئمة المسلمين
٥. واجبنا مع عامة المسلمين
٦. واجبنا مع غير المسلمين
٧. واجبنا مع الدول التي قامت أو دعمت أو امتنعت عن إدانة هذه الجريمة النكراء
٨. واجبنا مع من قام بهذه الجريمة النكراء
٩. واجبنا مع المنافقين والعلمانيين وأذناهم ومن على شاكلتهم
١٠. واجبنا مع الأزواج والأبناء

(٥٧) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢٢٩ / ٨) برقم: (٣٠٠٥) (كتاب الزهد والرقائق ، باب قصة أصحاب الأخدود)



## تحقيق التوحيد

النحل (٣٦)

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦]

## الاستغفار والتوبة إلى الله ﷻ

المائدة (٦٦)

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]

نوح (١٠-١٤)

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٤]

## أن يكون القلب متعلقا بالله ﷻ وحده

الطلاق (٣)

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]

## الدعاء كدعاء الغريق

الحديث الأول

أخرج الحاكم في "مستدرکه" (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ، دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد) قال :- ( أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَاتِي ، بِالْكُوفَةِ ، ثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَكَمِ الْحَبْرِيُّ ، ثَنَا قَبِيصَةُ ، ثَنَا سُفْيَانُ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ قَالَ : " يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا مَنْ دَعَا دُعَاءَ الْغَرِيقِ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ :- " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " . ) (٥٨)

(٥٨) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (١ / ٥٠٧) برقم: (١٨٧٥) (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ، دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد) (بهذا اللفظ)، (٤ / ٤٢٥) برقم: (٨٤٠٢) (كتاب الفتن والملاحم ، يأتي عليكم زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغرق) (بنحوه) وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٥ / ٩١) برقم: (٢٩٧٨٣) (كتاب الدعاء ، في فضل الدعاء) (بنحوه موقوفا)، (١٥ / ٩٢) برقم: (٢٩٧٨٤) (كتاب الدعاء ، في فضل الدعاء)، (٢١ / ٤٥) برقم: (٣٨٣٠٠) (كتاب الفتن ، من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها) (بنحوه موقوفا)، (٢١ / ٤٥) برقم: (٣٨٣٠١) (كتاب الفتن ، من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها) (بمثله موقوفا).

فهذا الحديث روي من طريق الأعمش واختلف على الأعمش فرواه سفیان عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبي عمار عن حذيفة مرفوعا، وأبو معاوية الضريير عن الأعمش عن إبراهيم النخعي عن همام بن الحارث بن قيس النخعي عن حذيفة، وعن الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبي عمار عن حذيفة موقوفا، وسفيان عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن حذيفة مرفوعا حكما.

وروي من طريق عمارة بن عمير واختلف على عمارة بن عمير فرواه الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبي عمار عن حذيفة مرفوعا، والأعمش عن عمارة بن عمير عن أبي عمار عن حذيفة موقوفا، والأعمش عن عمارة بن عمير عن حذيفة مرفوعا حكما.

قال شيخنا - أبي بكر علي بن الشرفاءوي - حفظه الله - يصح هذا الحديث موقوفا عن حذيفة ﷺ ولا يصح موقوفا عن رسول الله ﷺ

## الحديث الثاني

أخرج ابن أبي شيبة في "مصنفه" (كتاب الفتن، ما ذكر في عثمان رضي الله تعالى عنه) قال :- (حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ نَسِيطٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: تَكُونُ فِتْنَةٌ لَا يُنْجِي مِنْهَا إِلَّا دُعَاءُ كَدْعَاءِ الْغَرَقِ.)<sup>(٥٩)</sup>

## الاستغاثة (٦٠)

الأنفال (٩ - ١٤)

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ فُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ اللَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَم فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال: ٩-١٤]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

أي: اذكروا نعمة الله عليكم، لما قارب التقاؤكم بعدوكم، استغثتم بربكم، وطلبتم منه أن يعينكم وينصركم {فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} وأغاثكم بعدة أمور:

منها: أن الله أمدكم {بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} أي: يردف بعضهم بعضا.

{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ} أي: إنزال الملائكة {إِلَّا بُشْرَى} أي: لتستبشر بذلك نفوسكم، {وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} وإلا فالنصر بيد الله، ليس بكثرة عَدَدٍ وَلَا عُدَدٍ... {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} لا يغالبه مغالب، بل هو القهار، الذي يخذل من بلغوا من الكثرة وقوة العدد والآلات ما بلغوا. {حَكِيمٌ} حيث قدر الأمور بأسبابها، ووضع الأشياء مواضعها.

ومن نصره واستجابته لدعائكم أن أنزل عليكم نعاسا {يُغَشِّيكُمْ} [أي] فيذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل، ويكون {أَمَنَةً} لكم وعلامة على النصر والطمأنينة.

ومن ذلك: أنه أنزل عليكم من السماء مطرا ليطهركم به من الحدث والخبث، وليطهركم به من وساوس الشيطان ورجزه.

{وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} أي: يثبتها فإن ثبات القلب، أصل ثبات البدن، {وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} فإن الأرض كانت سهلة دهسة فلما نزل عليها المطر تلبدت، وثبتت به الأقدام.

<sup>(٥٩)</sup> أخرج ابن أبي شيبة في "مصنفه ت الشري" (٢١ / ٤٦٤) برقم: (٤٠٥٥١) (كتاب الفتن، ما ذكر في عثمان رضي الله تعالى عنه) (الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م) وبرقم: (٣٨٩٠٤) في (الناشر: دار القبلة - جدة - السعودية، مؤسسة علوم القرآن - دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) <sup>(٦٠)</sup> إشارة إلى ماهية الاستغاثة وأسبابها

ومن ذلك أن الله أوحى إلى الملائكة {آتِي مَعَكُمْ} بالعون والنصر والتأييد، {فَتَبَتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} أي: ألقوا في قلوبهم، وألهموهم الجراءة على عدوهم، ورغبوهم في الجهاد وفضله.

{سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} الذي هو أعظم جند لكم عليهم، فإن الله إذا ثبت المؤمنين وألقى الرعب في قلوب الكافرين، لم يقدر الكافرون على الثبات لهم ومنحهم الله أكتافهم.

{فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} أي: على الرقاب {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} أي: مفصل.

وهذا خطاب، إما للملائكة الذين أوحى الله إليهم أن يثبتوا الذين آمنوا فيكون في ذلك دليل أنهم باشروا القتال يوم بدر، أو للمؤمنين يشجعهم الله، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين، وأنهم لا يرحمونهم، وذلك لأنهم شاقوا الله ورسوله أي: حاربوهما وبارزوهما بالعداوة. {وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ومن عقابه تسليط أوليائه على أعدائه وتقتيلهم.

{ذَلِكُمْ} العذاب المذكور {فَدَوْقُوهُ} أيها المشاققون لله ورسوله عذابا معجلا. {وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ}.

وفي هذه القصة من آيات الله العظيمة ما يدل على أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا. منها: أن الله وعدهم وعدا، فأنجزهموه.

ومنها: ما قال الله تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ} الآية.

ومنها: إجابة دعوة الله للمؤمنين لما استغاثوه بما ذكره من الأسباب، وفيها الاعتناء العظيم بحال عباده المؤمنين، وتقييض الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية.

ومنها: أن من لطف الله بعبده أن يسهل عليه طاعته، ويسرها بأسباب داخلية وخارجية. انتهى من كلامه ﷺ

## الذل والتضرع إلى الله ﷻ

آل عمران (١٢٣)

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷻ في "تفسيره" :-

وهذا امتنان منه على عباده المؤمنين، وتذكير لهم بما نصرهم به يوم بدر وهم أذلة في قلة عددهم وعددهم مع كثرة عدد عدوهم وعددهم، وكانت وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة، خرج النبي ﷺ من المدينة بثلاث مئة وبضعة عشر من أصحابه، ولم يكن معهم إلا سبعون بعيرا وفرسان لطلب عير لقريش قدمت من الشام، فسمع به المشركون فتجهزوا من مكة لفكالك عيرهم، وخرجوا في زهاء ألف مقاتل مع العدة الكاملة والسلاح العام والخيل الكثيرة، فالتقوا همهم والمسلمون في ماء يقال له "بدر" بين مكة والمدينة فاقتتلوا، ونصر الله المسلمين نصرا عظيما، فقتلوا من المشركين سبعين قتيلًا من صنديد المشركين وشجعانهم، وأسروا سبعين، واحتوتوا على معسكرهم ستأتي - إن شاء الله - القصة في سورة الأنفال، فإن ذلك موضعها، ولكن الله تعالى هنا أتى بها ليتذكر بها المؤمنون ليتقوا ربهم ويشكروه، فهذا قال ﴿فاتقوا الله لعلكم تَشْكُرُونَ﴾ لأن من اتقى ربه فقد شكره، ومن ترك التقوى فلم يشكره. انتهى من كلامه ﷻ

## الإخلاص في العمل

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره) قال :- ( حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ : حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : انْطَلَقَ ثَلَاثَةَ زَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَتَّى أَوْوَأَ الْمُبَيْتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ ، فَأَنحَدَرْتُ صَخْرَةً مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنَجِّيْكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانِ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا ، فَتَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرْجْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غُبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاطَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غُبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَأَنْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمِّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي ، حَتَّى أَمَلْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السِّنِينَ ، فَجَاءَتْني فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ : لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفْضَلَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُفُوعِ عَلَيْهَا ، فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الدَّهَبَ الَّذِي أُعْطَيْتُهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَأَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ ، فَتَمَرَّتْ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ ، فَجَاءَني بَعْدَ حِينٍ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّي (١) إِلَيَّ أَجْرِي ، فَقُلْتُ لَهُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ ، مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْهَرِي بِي ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْهَرِي بِكَ ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَأَقَهُ فَلَمْ يَثْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَأَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْسُونَ . ) (١١)

## ابتغاء العزة

النساء (١٣٨ - ١٣٩)

﴿كَثِيرِ الْمُتْلَفِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

البشارة تستعمل في الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسوأها، وهو العذاب الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين، فأى شيء حملهم على ذلك؟ أيبتغون عندهم العزة؟ وهذا هو الواقع من أحوال المنافقين، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عما وراء ذلك، فاتخذوا الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون. والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيئته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالية الكافرين؛ وترك موالية المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم. انتهى من كلامه

(١١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٩١) برقم: (٢٢٧٢) (كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره)

يونس (٦٥)

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

أي: ولا يحزنك قول المكذبين فيك من الأقوال التي يتوصلون بها إلى القدح فيك، وفي دينك فإن أقوالهم لا تعزهم، ولا تضرك شيئاً. ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يؤتمها من يشاء، ويمنعها ممن يشاء.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: فليطلبها بطاعته، بدليل قوله بعده: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

ومن المعلوم، أنك على طاعة الله، وأن العزة لك ولأتباعك من الله ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

وقوله: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: سمعه قد أحاط بجميع الأصوات، فلا يخفى عليه شيء منها.

وعلمه قد أحاط بجميع الظواهر والبواطن، فلا يعزب عنه مثقال ذرة، في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

وهو تعالى يسمع قولك، وقول أعدائك فيك، ويعلم ذلك تفصيلاً، فاكتف بعلم الله وكفايته، فمن يتق الله، فهو حسبه. انتبه من كلامه ﷻ

فاطر (١٠)

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

أي: يا من يريد العزة، اطلبها ممن هي بيده، فإن العزة بيد الله، ولا تنال إلا بطاعته، وقد ذكرها بقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب، فيرفع إلى الله ويعرض عليه ويثني الله على صاحبه بين الملائكة الأعلى ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ من أعمال القلوب وأعمال الجوارح ﴿يَرْفَعُهُ﴾ الله تعالى إليه أيضاً، كالكلم الطيب.

وقيل: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة، فهي التي ترفع كلمه الطيب، فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى الله تعالى، فهذه الأعمال التي ترفع إلى الله تعالى، ويرفع الله صاحبها ويعزه.

وأما السيئات فإنها بالعكس، يريد صاحبها الرفعة بها، ويمكر ويكيد ويعود ذلك عليه، ولا يزداد إلا إهانة ونزولا، ولهذا قال: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ مهانون فيه غاية الإهانة.

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ﴾ أي: يهلك ويضمحل، ولا يفيدهم شيئاً، لأنه مكر بالباطل، لأجل الباطل.. انتبه من كلامه ﷻ

المنافقون (٨)

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ وذلك في غزوة المريسيع، حين صار بين بعض المهاجرين والأنصار، بعض كلام كدر الخواطر، ظهر حينئذ نفاق المنافقين، وأظهروا ما في نفوسهم.

وقال كبيرهم، عبد الله بن أبي بن سلول: ما مثلنا ومثل هؤلاء -يعني المهاجرين- إلا كما قال القائل: "غذ كلبك يأكلك"

وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ بزعمه أنه هو وإخوانه من المنافقين الأعزون، وأن رسول الله ومن معه هم الأذلون، والأمر بعكس ما قال هذا المنافق، فلماذا قال [تعالى]: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهم الأعزاء، والمنافقون وإخوانهم من الكفار [هم] الأذلاء.

﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك زعموا أنهم الأعزاء، اغترارًا بما هم عليه من الباطل. انتهى من كلامه

### الصبر واليقين

السجدة (٢٤)

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم، يهدون غيرهم بذلك الهدى، فالكتاب الذي أنزل إليهم، هدى، والمؤمنون به منهم، على قسمين: أئمة يهدون بأمر الله، وأتباع مهتدون بهم.

والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماعها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات.

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذلك، فبالصبر واليقين، تُنالُ الإمامة في الدين. انتهى من كلامه

### الأخذ بأسباب النصر وأولها العلم

آل عمران (١٢٥ - ١٢٧)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَتَوَقَّؤْا وَيَأْتِوْكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَقًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَآبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥-١٢٧]



التوبة (١٢٢)

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

يقول تعالى: - منها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم - ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ أي: جميعا لقتال عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتوفت به كثير من المصالح الأخرى، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: من البلدان، والقبائل، والأفخاذ ﴿طَائِفَةٌ﴾ تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى.

ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتهم، فقال: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ أي: القاعدون ﴿فِي الدِّينِ﴾ ولِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسرارها، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينسى له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأبي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن أتاه الله علما ومنحه فهما.

وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدا واحدا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصود واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور. انتهى من كلامه ﷺ

الفرقان (٥٢)

﴿فَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَجَنَّهُمُ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]

في موسوعة "التفسير بالمأثور" :-

٥٥٠٢٦ - عن عبد الله بن عباس - من طريق ابن جريج - في قوله: {وجاهدكم به} . قال: بالقرآن .

٥٥٠٢٧ - قال إسماعيل السُّدِّيُّ: بالقول.

٥٥٠٢٨ - قال مقاتل بن سليمان: {وجاهدكم به} يعني: بالقرآن {جهادا كبيرا} يعني: شديداً.

٥٥٠٢٩ - قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: {وجاهدكم به جهادا كبيرا}، قال: الإسلام. وقرأ: {واغلظ عليهم} [التوبة: ٧٣] وقرأ: {وليجدوا فيكم غلظة} [التوبة: ١٢٣]، وقال: هذا الجهاد الكبير.

٥٥٠٣ - قال يحيى بن سلام: {وجاهدكم به} بالقرآن {جهادا كبيرا} شديداً. هذا الجهاد باللسان يومئذ بمكة قبل أن يؤمر بقتالهم.

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في ترك شيء مما أرسلت به، بل ابذل جهدك في تبليغ ما أرسلت به.

﴿وَجَاهِدْهُمْ﴾ بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: لا تبق من مجهودك في نصر الحق وقمع الباطل إلا بذلته ولو رأيت منهم من التكذيب والجرأة ما رأيت فابذل جهدك واستفرغ وسعك، ولا تيأس من هدايتهم ولا تترك إبلاغهم لأهوائهم. انتهى من كلامه ﷺ

### الحديث الأول

أخرج الضياء المقدسي<sup>(٦١)</sup> في "الأحاديث المختارة"<sup>(٦٢)</sup> (مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، راشد الحماني أبو محمد عن ابن عمر) قال :- (أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْدَلَانِيُّ وَقَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدِ الْخَيْرِ، أَنَّ قَاطِمَةَ الْجُوْزْدَانِيَّةَ أَخْبَرَتْهُمْ، أَيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَيْنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبْرَانِيَّ، ثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ (ح). قَالَ الطَّبْرَانِيُّ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ النَّصْرِ الْأَزْدِيُّ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ وَقِيدِ الْحَرَّانِيُّ، قَالَ: ثَنَا غَسَّانُ بْنُ بُرْزَيْنَ، حَدَّثَنِي رَاشِدُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَمَّانِيُّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَرَى أَحَدُنَا أَنَّهُ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، فَإِذَا الدَّيْنَارُ وَالِدِرْهَمُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، فَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدَّيْنَارِ وَالِدِرْهَمِ، وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقْرِ، وَتَرَكَوا الْجِهَادَ: سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ مِنْهُمْ حَتَّى يَرَا جَعُوا أَمْرَهُمْ. (٦٤)

أخرج أبو داود في "سننه" (كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة) قال :- (حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ، أَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ (ح) وَنَا جَعْفَرُ بْنُ مَسَافِرِ التَّيْسِيِّ، نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى الْبُرَيْيِيُّ، أَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، عَنِ إِسْحَاقَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ سُلَيْمَانُ: عَنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخُرَّاسَانِيِّ، أَنَّ عَطَاءَ الْخُرَّاسَانِيَّ حَدَّثَهُ، أَنَّ نَافِعًا حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقْرِ وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكَتُمُ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: الْإِخْبَارُ لِجَعْفَرٍ، وَهَذَا لَفْظُهُ. (٦٥)

قال صاحب "عون المعبود شرح سنن أبي داود"<sup>(٦٦)</sup> عند هذا الحديث :-

(إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ) قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْعَيْنَةُ بِالْكَسْرِ السَّلْفُ .

وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ: وَعَيْنٌ أَخَذَ بِالْعَيْنَةِ بِالْكَسْرِ أَيْ السَّلْفِ أَوْ أَعْطَى بِهَا. قَالَ وَالتَّاجِرُ بَاعَ سِلْعَتَهُ بِتَمَنِ إِلَى أَجَلٍ ثُمَّ اشْتَرَاهَا مِنْهُ بِأَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ التَّمَنِ انْتَهَى. قَالَ الرَّافِعِيُّ: وَبَيْعُ الْعَيْنَةِ هُوَ أَنْ يَبِيعَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِهِ بِتَمَنِ مُوجَلٍ وَيُسَلِّمُهُ إِلَى الْمُشْتَرِي ثُمَّ يَشْتَرِيهِ قَبْلَ قَبْضِ التَّمَنِ بِتَمَنِ نَقْدٍ أَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ الْقَدْرِ انْتَهَى .

وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى عَدَمِ جَوَازِ بَيْعِ الْعَيْنَةِ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَحْمَدُ، وَجَوَّزَ ذَلِكَ الشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُ. كَذَا فِي النَّيْلِ. وَقَدْ حَقَّقَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ عَدَمَ جَوَازِ الْعَيْنَةِ وَنَقَلَ مَعْنَى كَلَامِهِ الْعَلَامَةُ الشُّوْكَانِيُّ فِي النَّيْلِ .

(٦١) ترجمة

(٦٢) التعريف بالكتاب ومنهجه

(٦٤) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٣ / ١٧٦) برقم: (٢٨١) (مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، راشد الحماني أبو محمد عن ابن عمر)

(٦٥) أخرجه أبو داود في "سننه" (٣ / ٢٩١) برقم: (٣٤٦٢) (كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة)

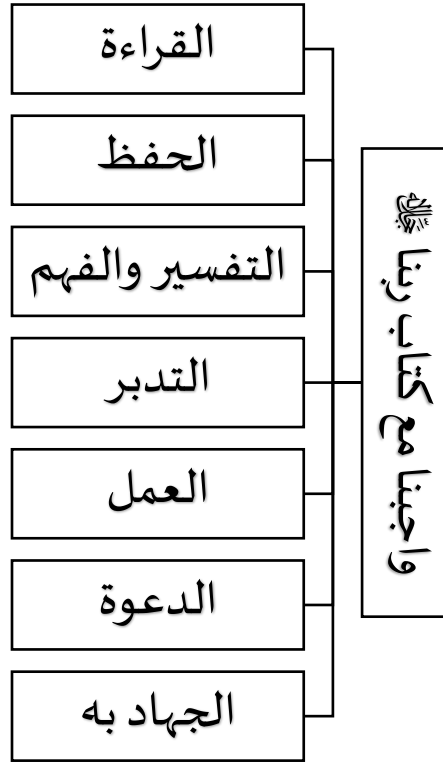
(٦٦) محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت ١٣٢٩ هـ) "عون المعبود وحاشية ابن القيم" (٩ / ٢٤٢)

(وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ) حُمِلَ هَذَا عَلَى الْإِشْتِعَالِ بِالزَّرْعِ فِي زَمَنِ يَتَعَيَّنُ فِيهِ الْجِهَادُ (وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ) أَيِ الْمُتَعَيَّنِ فِعْلُهُ (سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا) بِضَمِّ الدَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَكَسْرِهَا أَيِ صَعَارًا وَمَسْكَنَةً، وَمِنْ أَنْوَاعِ الذُّلِّ الْخَرَجُ الَّذِي يُسَلِّمُونَهُ كُلَّ سَنَةٍ لِأَنَّكَ الْأَرْضِ .

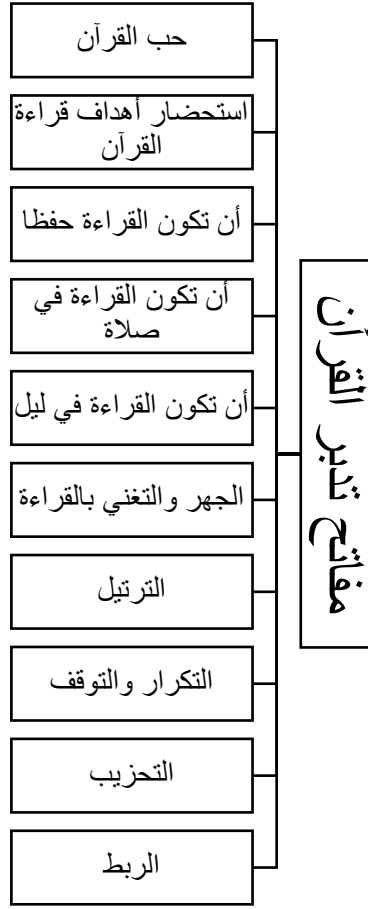
وَسَبَبُ هَذَا الذُّلِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَمَّا تَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِي فِيهِ عِزُّ الْإِسْلَامِ وَإِظْهَارُهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ عَامِلُهُمُ اللَّهُ بِنَقِيضِهِ وَهُوَ إِنْزَالُ الدَّلِيلِ بِهِمْ فَصَارُوا يَمْشُونَ خَلْفَ أَذْنَابِ الْبَقَرِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَرْكَبُونَ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ الَّتِي هِيَ أَعَزُّ مَكَانٍ. قَالَهُ فِي النَّبْلِ . انتهى  
من كلامه ﷺ

الواجب الثاني :- مع كتاب الله ﷻ

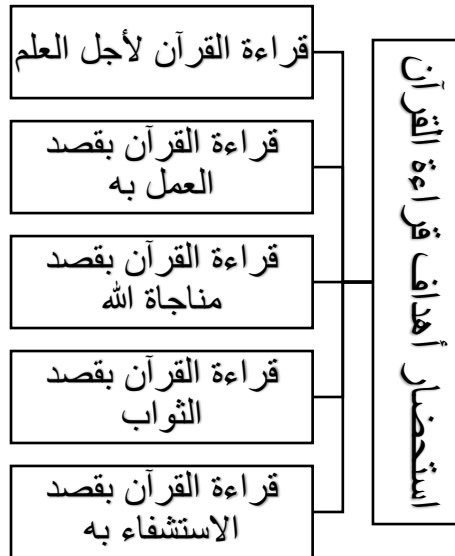
واجبنا مع كتاب ربنا ﷻ



مفاتيح تدبر القرآن (٦٧)



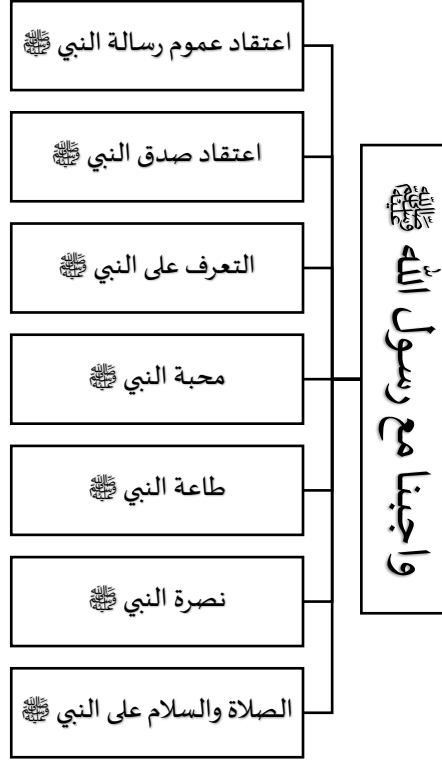
استحضار أهداف قراءة القرآن (٦٨)



(٦٧) هذه الفائدة مُستلَّة من كتاب (مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة) للشيخ الدكتور خالد بن عبد الكريم اللاحم - حفظه الله -

(٦٨) هذه الفائدة مُستلَّة من كتاب (مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة) للشيخ الدكتور خالد بن عبد الكريم اللاحم - حفظه الله -

الواجب الثالث :- مع رسول الله ﷺ (٦٩)



(٦٩) هذه الفائدة مُستلَّة من كتاب (كيف يكون قلي سليما) لفضيلة الشيخ الحبيب القريب الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد عبدالرحمن النقيب - حفظه الله - أستاذ اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية، جامعة المنصورة، مصر، والمحاضرة متاحة [هنا](#) ولفوائد مختصرة من المحاضرة [هنا](#)

## الواجب الرابع :- مع أئمة المسلمين والحكام وولاة الأمور وأصحاب القرار

### النصيحة بضوابطها الشرعية

#### الحديث الأول

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة) قال :- (حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ قَالَ: قِيلَ لِأَسَامَةَ: أَلَا تَكَلِّمُ هَذَا؟ قَالَ: قَدْ كَلَّمْتُهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُهُ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ لِرَجُلٍ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى رَجُلَيْنِ: أَنْتَ خَيْرٌ، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيَطْرُقُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطْحَنِ الْجِمَارِ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ.) (٧٠)

ذكر ابن حجر في "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" عند ذكر هذا الحديث (٧١) :-

قَوْلُهُ: (قِيلَ لِأَسَامَةَ: أَلَا تَكَلِّمُ هَذَا؟) كَذَا هُنَا بِإِبْهَامِ الْقَائِلِ وَإِبْهَامِ الْمُسَارِ إِلَيْهِ، وَتَقَدَّمَ فِي صِفَةِ النَّارِ مِنْ بَدْءِ الْخَلْقِ مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِلَفْظٍ: "لَوْ أَتَيْتَ فَلَانًا فَكَلَّمْتَهُ" وَجَزَاءِ الشَّرْطِ مَحْدُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: لَكَانَ صَوَابًا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ "لَوْ" لِلتَّمَيُّزِ، وَوَقَعَ اسْمُ الْمُسَارِ إِلَيْهِ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ أُسَامَةَ قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمُهُ؟ وَلِأَحْمَدَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ: "أَلَا تَكَلِّمُ عُثْمَانَ؟".

قَوْلُهُ: (قَدْ كَلَّمْتُهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا)؛ أَيُّ: كَلَّمْتُهُ فِيمَا أَسْرَثْتُمْ إِلَيْهِ، لَكِنْ عَلَى سَبِيلِ الْمَصْلَحَةِ وَالْأَدَبِ فِي السِّرِّ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ فِي كَلَامِي مَا يُبَيِّرُ فِتْنَةً أَوْ نَحْوَهَا. وَمَا مَوْصُوفَةً، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً.

قَوْلُهُ: (أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُهُ) فِي رَوَايَةِ الْكُشْمِيرِيِّ: "فَتَحَهُ" بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي، وَكَذَا فِي رَوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ؛ وَفِي رَوَايَةِ سُفْيَانَ: "قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَرَوْنَ - أَيُّ تَطْنُونَ - أَيُّ لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمَعْتُكُمْ": أَيُّ إِلَّا بِحُضُورِكُمْ، وَسَقَطَتِ الْأَلْفُ مِنْ بَعْضِ النُّسخِ فَصَارَ بِلَفْظِ الْمَصْدَرِ؛ أَيُّ إِلَّا وَقْتُ حُضُورِكُمْ حَيْثُ تَسْمَعُونَ وَهِيَ رَوَايَةُ يَعْلَى بْنِ عُبَيْدٍ الْمُدْكُورَةُ، وَقَوْلُهُ فِي رَوَايَةِ سُفْيَانَ: "إِنِّي أَكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ" عِنْدَ مُسْلِمٍ مِثْلُهُ، لَكِنْ قَالَ بَعْدَ قَوْلِهِ "إِلَّا أَسْمَعْتُكُمْ": "وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ": يَعْنِي: لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا مَعَ مُرَاعَاةِ الْمَصْلَحَةِ بِكَلَامٍ لَا يَهَيِّجُ بِهِ فِتْنَةً.

قَوْلُهُ: (وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ لِرَجُلٍ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى رَجُلَيْنِ: أَنْتَ خَيْرٌ) فِي رَوَايَةِ الْكُشْمِيرِيِّ: "إِبْتِ خَيْرًا" بِصِيغَةِ فِعْلِ الْأَمْرِ مِنَ الْإِبْتِائِ وَنَصْبِ خَيْرًا عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى فَقَدْ وَقَعَ فِي رَوَايَةِ سُفْيَانَ: "وَلَا أَقُولُ لِأَمِيرٍ إِنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا" هُوَ بِكَسْرِ هَمْزَةٍ "إِنْ" وَيَجُوزُ فَتْحُهَا، وَقَوْلُهُ: "كَانَ عَلَيَّ - بِالتَّشْدِيدِ - أَمِيرًا أَنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ". وَفِي رَوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: "يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا" وَفِي رَوَايَةِ يَعْلَى: "وَإِنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا".

قَوْلُهُ: (بَعْدَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يُجَاءُ بِرَجُلٍ) فِي رَوَايَةِ سُفْيَانَ: "بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالُوا: وَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يُجَاءُ بِالرَّجُلِ" وَفِي رَوَايَةِ عَاصِمِ بْنِ هَبَدَلَةَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ عِنْدَ أَحْمَدَ: "يُجَاءُ بِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يُطَاعُ فِي مَعْاصِي اللَّهِ فَيُقَدَّفُ فِي النَّارِ".

(٧٠) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥٥ / ٩) برقم: (٧٠٩٨) (كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر)

(٧١) ابن حجر، "فتح الباري بشرح البخاري - ط السلفية" (١٣ / ٥١)

قَوْلُهُ: (فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطْحَنِ الْجَمَارِ) فِي رَوَايَةِ الْكُشْمِيرِيِّ: "كَمَا يَطْحَنُ الْجَمَارُ" كَذَا رَأَيْتُ فِي نُسَخَةٍ مُعْتَمَدَةٍ: "فَيَطْحَنُ": بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ، وَفِي أُخْرَى بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَهُوَ أَوْجَهُ، فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي رَوَايَةِ سُفْيَانَ وَأَبِي مُعَاوِيَةَ: "فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْجَمَارُ" وَفِي رَوَايَةِ عَاصِمٍ: "يَسْتَدِيرُ فِيهَا كَمَا يَسْتَدِيرُ الْجَمَارُ" وَكَذَا فِي رَوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ. وَالْأَقْتَابُ جَمْعُ قَتَبٍ - بِكَسْرِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْمُثَنَاءِ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةٌ - هِيَ الْأَمْعَاءُ، وَإِنْدِلَاقُهَا خُرُوجُهَا بِسُرْعَةٍ؛ يُقَالُ: انْدَلَقَ السَّيْفُ مِنْ غِمْدِهِ إِذَا خَرَجَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَهُ أَحَدٌ، وَهَذَا يُشْعِرُ بِأَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ كَانَتْ أَيْضًا عِنْدَ الْأَعْمَشِ فَلَمْ يَسْمَعْهَا شُعْبَةُ مِنْهُ وَسَمِعَ مَعْنَاهَا مِنْ مَنْصُورٍ كَمَا تَقَدَّمَ.

قَوْلُهُ: (فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ): أَيِ يَجْتَمِعُونَ حَوْلَهُ، يُقَالُ: أَطَافَ بِهِ الْقَوْمُ إِذَا حَلَقُوا حَوْلَهُ حَلَقَةً وَإِنْ لَمْ يَدُورُوا، وَطَافُوا إِذَا دَارُوا حَوْلَهُ، وَهَذَا التَّفْصِيلُ يَظْهَرُ خَطَأً مَنْ قَالَ: إِهْمَمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَفِي رَوَايَةِ سُفْيَانَ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ: "فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ". وَفِي رَوَايَةِ عَاصِمٍ: "فَيَأْتِي عَلَيْهِ أَهْلُ طَاعَتِهِ مِنَ النَّاسِ".

قَوْلُهُ: (فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ) فِي رَوَايَةِ سُفْيَانَ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ: "فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانٌ" وَزَادَ: "مَا شَأْنُكَ؟" وَفِي رَوَايَةِ عَاصِمٍ: "أَيُّ فُلٍ، أَيُّنَ مَا كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِهِ؟".

قَوْلُهُ: (أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى) فِي رَوَايَةِ سُفْيَانَ: "أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا؟".

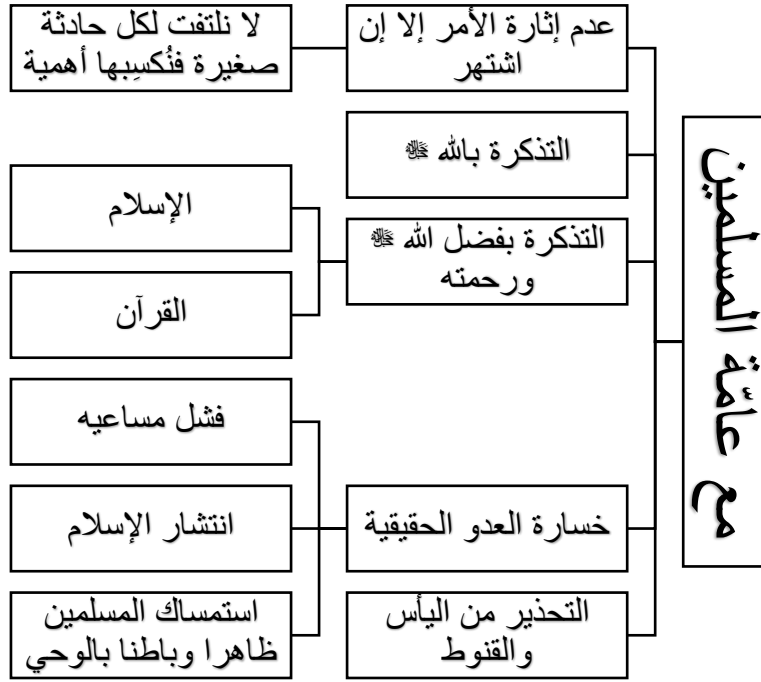
قَوْلُهُ: (إِنِّي كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ) فِي رَوَايَةِ سُفْيَانَ: "أَمُرُكُمْ وَأَنْهَاكُمْ" وَلَهُ وَلِأَبِي مُعَاوِيَةَ: "وَأْتِيهِ وَلَا آتِيهِ". وَفِي رَوَايَةِ يَعْلى: "بَلْ كُنْتُ أَمُرُ" وَفِي رَوَايَةِ عَاصِمٍ: "وَإِنِّي كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِأَمْرٍ وَأَخَالِفُكُمْ إِلَى غَيْرِهِ". قَالَ الْمُهَلَّبُ: أَرَادُوا مِنْ أُسَامَةَ أَنْ يُكَلِّمَ عُثْمَانَ وَكَانَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَمَنْ يَخْفُ عَلَيْهِ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ بِنِ عُقْبَةَ لِأَنَّهُ كَانَ ظَهَرَ عَلَيْهِ رِيحُ نَبِيذٍ وَشَهْرُ أَمْرِهِ وَكَانَ أَخَا عُثْمَانَ لِأُمِّهِ، وَكَانَ يَسْتَعْمِلُهُ، فَقَالَ أُسَامَةُ: قَدْ كَلَّمْتُهُ سِرًّا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا؛ أَيُّ بَابِ الْإِنْكَارِ عَلَى الْإِيْمَةِ عَلَانِيَةً خَشِيَةَ أَنْ تَفْتَرِقَ الْكَلِمَةَ. ثُمَّ عَرَّفَهُمْ أَنَّهُ لَا يَدَاهِنُ أَحَدًا وَلَوْ كَانَ أَمِيرًا، بَلْ يَنْصَحُ لَهُ فِي السِّرِّ جَهْدَهُ، وَذَكَرَ لَهُمْ قِصَّةَ الرَّجُلِ الَّذِي يُطْرَحُ فِي النَّارِ لِكُونِهِ كَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ لِيَتَبَرَّأَ مِمَّا ظَنُّوا بِهِ مِنْ سُكُوتِهِ عَنْ عُثْمَانَ فِي أَخِيهِ، انْتَهَى مُلَخَّصًا. وَحَزْمُهُ بِأَنَّ مُرَادَ مَنْ سَأَلَ أُسَامَةَ الْكَلَامَ مَعَ عُثْمَانَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ مَا عَرَفْتُ مُسْتَنَدَهُ فِيهِ، وَسِيَاقُ مُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ جَرِيرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ يَذْفَعُهُ، وَلَفْظُهُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ: "كُنَّا عِنْدَ أُسَامَةَ بِنِ زَيْدٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ فِيَمَا يَصْنَعُ". قَالَ: وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ، وَحَزَمَ الْكِرْمَانِيُّ بِأَنَّ الْمُرَادَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِيَمَا أَنْكَرَهُ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ مِنْ تَوَلِيَةِ أَقَارِبِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا اشْتَهَرَ، وَقَوْلُهُ: إِنَّ السَّبَبَ فِي تَحْدِيثِ أُسَامَةَ بِذَلِكَ لِيَتَبَرَّأَ مِمَّا ظَنُّوا بِهِ لَيْسَ بِوَاضِحٍ، بَلِ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ أُسَامَةَ كَانَ يَخْشَى عَلَى مَنْ وُلِّيَ وَلايَةً وَلَوْ صَغُرَتْ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْمُرَ الرَّعِيَّةَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ثُمَّ لَا يَأْمَنُ مِنْ أَنْ يَبْقَعَ مِنْهُ تَفْصِيْرٌ، فَكَانَ أُسَامَةَ يَرَى أَنَّهُ لَا يَتَأَمَّرُ عَلَى أَحَدٍ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: "لَا أَقُولُ لِلْأَمِيرِ إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ"؛ أَيُّ: بَلْ غَايَتُهُ أَنْ يَنْجُو كَقَافًا. وَقَالَ عِيَاضٌ: مُرَادُ أُسَامَةَ أَنَّهُ لَا يَفْتَحُ بَابَ الْمُجَاهَرَةِ بِالنِّكِيْرِ عَلَى الْإِمَامِ لِمَا يَخْشَى مِنْ عَاقِبَةِ ذَلِكَ، بَلْ يَتَلَطَّفُ بِهِ وَيَنْصَحُهُ سِرًّا فَذَلِكَ أَجْدَرُ بِالْقَبُولِ.

قَوْلُهُ: "لَا أَقُولُ لِأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ" فِيهِ دَمٌ مُدَاهِنَةٌ الْأَمْرَاءِ فِي الْحَقِّ وَإِظْهَارٌ مَا يُبْطِنُ خِلَافَهُ كَالْمُتَمَلِّقِ بِالْبَاطِلِ، فَأَشَارَ أُسَامَةُ إِلَى الْمُدَارَاةِ الْمُحْمُودَةِ وَالْمُدَاهِنَةِ الْمُدْمُومَةِ، وَضَابِطُ الْمُدَارَاةِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهَا قَدْحٌ فِي الدِّينِ، وَالْمُدَاهِنَةُ الْمُدْمُومَةُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا تَزْيِينُ الْقَبِيحِ وَتَصْوِيبُ الْبَاطِلِ وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: يَجِبُ مُطْلَقًا، وَاحْتَجَّجُوا بِحَدِيثِ طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ رَفَعَهُ: أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ وَبِعُومُومٍ قَوْلُهُ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْبِرْهُ بِيَدِهِ، الْحَدِيثُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ إِتْكَارُ الْمُنْكَرِ، لَكِنَّ شَرْطَهُ أَنْ لَا يَلْحَقَ الْمُنْكَرَ بِلَاءٌ لَا قَبْلَ لَهُ بِهِ مِنْ قَتْلِ وَنَحْوِهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: يُنْكَرُ بِقَلْبِهِ لِحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرْفُوعًا: يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أَمْرًا بَعْدِي، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرَّئَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ، الْحَدِيثُ. قَالَ: وَالصَّوَابُ اعْتِبَارُ الشَّرْطِ الْمَذْكُورِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ: لَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُدِلَّ نَفْسَهُ ثُمَّ فَسَّرَهُ بِأَنْ يَتَعَرَّضَ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ، انْتَهَى



مُلَخَّصًا. وَقَالَ غَيْرُهُ: يَجِبُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخَفْ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ ضَرَرًا وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ مُتَلَبِّسًا بِالْمَعْصِيَةِ، لِأَنَّهُ فِي الْجُمْلَةِ يُوجِرُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مُطَاعًا، وَأَمَّا إِثْمُهُ الْخَاصُّ بِهِ فَقَدْ يَغْفِرُهُ اللَّهُ لَهُ وَقَدْ يُؤَاخِذُهُ بِهِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ إِلَّا مَنْ لَيْسَتْ فِيهِ وَصْمَةٌ، فَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ الْأَوَّلَى فَجَيِّدٌ وَإِلَّا فَيَسْتَلْزِمُ سَدَّ بَابِ الْأَمْرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْرُهُ. ثُمَّ قَالَ الطَّبْرِيُّ: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ صَارَ الْمَأْمُورُونَ بِالْمَعْرُوفِ فِي حَدِيثِ أُسَامَةَ الْمَذْكُورِ فِي النَّارِ؟ وَالْجَوَابُ أَنَّهُمْ لَمْ يَمْتَثِلُوا مَا أُمِرُوا بِهِ فَعَذَّبُوا بِمَعْصِيَتِهِمْ وَعَذَّبَ أَمِيرُهُمْ بِكُونِهِ كَانَ يَفْعَلُ مَا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ، وَفِي الْحَدِيثِ تَعْظِيمُ الْأَمْرَاءِ وَالْأَدَبُ مَعَهُمْ وَتَبْلِيغُهُمْ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِمْ لِيَكْفُوا وَيَأْخُذُوا جَنْدَرَهُمْ بِالطُّفِ وَحُسْنِ تَأْدِيبِهِ بِحَيْثُ يَبْلُغُ الْمَقْصُودُ مِنْ غَيْرِ أَدْبَةٍ لِغَيْرِهِ. انتهى من كلامه ﷺ

الواجب الخامس :- مع عامة المسلمين



آل عمران (١١٠)

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

يوسف (٨٧)

﴿يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

﴿يوسف: ٨٧﴾

الزمر (٥٣)

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

﴿الزمر: ٥٣﴾

الحديث الأول

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) قال :- (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. (٧٢)

(٧٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٢ / ١) برقم: (١٣) (كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)

## الواجب السادس :- مع غير المسلمين

المتحنة (١ - ٥)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَتَّقُوكُمْ يُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوَىٰ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَّمَكُنَا مَا كُنَّا لِنَكْتُمُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِزْنَا لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ [المتحنة: ١-٥]

ذكر السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

[وهي] مدنية {١-٩} ذكر كثير من المفسرين، [رحمهم الله]، أن سبب نزول هذه الآيات الكريمت في قصة حاطب بن أبي بلتعة، حين غزا النبي صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح، فكتب حاطب إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، ليتخذ بذلك يدا عندهم لا [شكا و] نفاقا، وأرسله مع امرأة، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بشأنه، فأرسل إلى المرأة قبل وصولها وأخذ منها الكتاب.

وعاتب حاطبا، فاعتذر رضي الله عنه بعذر قبله النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الآيات فيها النهي الشديد عن موالاتة الكفار من المشركين وغيرهم، وإلقاء المودة إليهم، وأن ذلك مناف للإيمان، ومخالف لملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو، الذي لا يُبقي من مجهوده في العداوة شيئا، وينتهز الفرصة في إيصال الضرر إلى عدوه، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} اعملوا بمقتضى إيمانكم، من ولاية من قام بالإيمان، ومعاداة من عاداه، فإنه عدو لله، وعدو للمؤمنين.

فلا تتخذوا عدو الله {وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} أي: تسارعون في مودتهم وفي السعي بأسبابها، فإن المودة إذا حصلت، تبعثها النصر والموالاتة، فخرج العبد من الإيمان، وصار من جملة أهل الكفران، وانفصل عن أهل الإيمان.

وهذا المتخذ للكافر وليا، عادم المروءة أيضا، فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه الذي لا يريد له إلا الشر، ويخالف ربه ووليه الذي يريد به الخير، ويأمره به، ويحثه عليه؟! ومما يدعو المؤمن أيضا إلى معاداة الكفار، أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحق، ولا أعظم من هذه المخالفة والمشاقة، فإنهم قد كفروا بأصل دينكم، وزعموا أنكم ضلال على غير هدى.

والحال أنهم كفروا بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية، ومن رد الحق فمحال أن يوجد له دليل أو حجة تدل على صحة قوله، بل مجرد العلم بالحق يدل على بطلان قول من رده وفساده.

ومن عداوتهم البليغة أنهم {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ} أيها المؤمنون من دياركم، ويشردونكم من أوطانكم، ولا ذنب لكم في ذلك عندهم، إلا أنكم تؤمنون بالله ربكم الذي يتعين على الخلق كلهم القيام بعبوديته، لأنه رباهم، وأنعم عليهم، بالنعمة الظاهرة والباطنة، وهو الله تعالى.

فلما أعرضوا عن هذا الأمر، الذي هو أوجب الواجبات، وقمتم به، عادوكم، وأخرجوكم - من أجله - من دياركم، فأى دين، وأي مروءة وعقل، يبقى مع العبد إذا والى الكفار الذين هذا وصفهم في كل زمان أو مكان؟ "ولا يمنهم منه إلا خوف، أو مانع قوي.

{إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي} أي: إن كان خروجكم مقصودكم به الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وابتغاء مرضاة الله فاعملوا بمقتضى هذا، من موالاته أولياء الله ومعاداة أعدائه، فإن هذا هو الجهاد في سبيله وهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى ربهم ويتغنون به رضاه.

{تَسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ} أي: كيف تسرون المودة للكافرين وتخفونها، مع علمكم أن الله عالم بما تخفون وما تعلنون؟!، فهو وإن خفي على المؤمنين، فلا يخفى على الله تعالى، وسيجازي العباد بما يعلمه منهم من الخير والشر، {وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ} أي: موالاته الكافرين بعد ما حذرهم الله منها {فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} لأنه سلك مسلكا مخالفا للشرع وللعقل والمروءة الإنسانية.

ثم بين تعالى شدة عداوتهم، تهييحا للمؤمنين على عداوتهم، {إِنْ يَتَّقَوْكُمْ} أي: يجدوكم، وتسمح لهم الفرصة في أذاكم، {يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً} ظاهرين {وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ} بالقتل والضرب، ونحو ذلك.

{وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ} أي: بالقول الذي يسوء، من شتم وغيره، {وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} فإن هذا غاية ما يريدون منكم.

فإن احتججتهم وقلتم: نوالي الكفار لأجل القرابة والأموال، فلن تغني عنكم أموالكم ولا أولادكم من الله شيئا. {والله بما تعملون بصير} فلذلك حذرهم من موالاته الكافرين الذين تضركم موالاتهم.

قد كان لكم يا معشر المؤمنين {أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} أي: قدوة صالحة وائتمام ينفعكم، {فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} من المؤمنين، لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم حنيفا، {إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي: إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين، من قومهم المشركين ومما يعبدون من دون الله.

ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا: {كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا} أي: ظهر وبان {بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ} أي: البغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حد، بل ذلك {أَبَدًا} ما دمتم مستمرين على كفركم {حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ} أي: فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة والبغضاء، وانقلبت مودة وولاية، فلکم أيها المؤمنون أسوة [حسنة] في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان والتوحيد، والقيام بلوازم ذلك ومقتضياته، وفي كل شيء تَعَبَّدُوا به لله وحده، {إِلَّا} في خصلة واحدة وهي {قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه} أزر المشرك، الكافر، المعاند، حين دعاه إلى الإيمان والتوحيد، فامتنع، فقال إبراهيم: {الْأَسْتَفْرِئَنَّ لَكَ} {وَالْحَالُ أَنِي لَا} {أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} لكني أدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا، فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة التي دعا بها للمشرك، فليس لكم أن تدعوا للمشركين، وتقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم، فإن الله ذكر عذر

إبراهيم في ذلك بقوله: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}

ولكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه، حين دعوا الله وتوكلوا عليه وأنابوا إليه، واعترفوا بالعجز والتقصير، فقالوا: {رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا} أي: اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا ودفع ما يضرنا، ووثقنا بك يا ربنا في ذلك.

{وَالَيْكَ أَتَيْنَا} أي: رجعنا إلى طاعتك ومرضاتك وجميع ما يقرب إليك، فنحن في ذلك ساعون، وبفعل الخيرات مجتهدون، ونعلم أنا إليك نصير، فسنستعد للقدوم عليك، ونعمل ما يقربنا الزلفى إليك.

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} أي: لا تسلطهم علينا بذنوبنا، فيفتنونا، ويمنعونا مما يقدرون عليه من أمور الإيمان، ويفتنون أيضا بأنفسهم، فإنهم إذا رأوا لهم الغلبة، ظنوا أنهم على الحق وأتوا على الباطل، فازدادوا كفرا وطغيانا، {وَاعْفِرْ لَنَا} ما اقترفنا من الذنوب والسيئات، وما قصرنا به من المأمورات، {رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ} {الْحَكِيمُ} الذي يضع الأشياء مواضعها، فيعزتك وحكمتك انصرنا على أعدائنا، واغفر لنا ذنوبنا، وأصلح عيوبنا. انتهى من كلامه ﷻ

### المتحنة (٦ - ٩)

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ \* عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [المتحنة: ٦-٩]

ذكر السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷻ في "تفسيره" :-

ثم كرر الحث [لهم] على الاقتداء بهم، فقال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، وإنما تسهل على من {كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب، يُسهِّلُ على العبد كلَّ عسير، ويُقلِّلُ لديه كلَّ كثير، ويُوجِبُ له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقرا ومضطرا إلى ذلك غاية الاضطرار.

{وَمَن يَتَوَلَّ} عن طاعة الله والتأسي برسول الله، فلن يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئا، {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ} الذي له الغنى التام [المطلق] من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى أحد من خلقه [بوجه]، {الْحَمِيدُ} في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فإنه محمود على ذلك كله.

ثم أخبر تعالى أن هذه العداوة التي أمر الله بها المؤمنين للمشركين، ووصفهم بالقيام بها أنهم ما داموا على شركهم وكفرهم، وأنهم إن انتقلوا إلى الإيمان، فإن الحكم يدور مع علته، فإن المودة الإيمانية ترجع، فلا تباؤا أيها المؤمنون، من رجوعهم إلى الإيمان، ف{عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَوَدَّةً} سببها رجوعهم إلى الإيمان، {وَاللَّهُ قَدِيرٌ} على كل شيء، ومن ذلك هداية القلوب وتقليبها من حال إلى حال، {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} لا يتعاطمه ذنب أن يغفره، ولا يكبر عليه عيب أن يستره، {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا

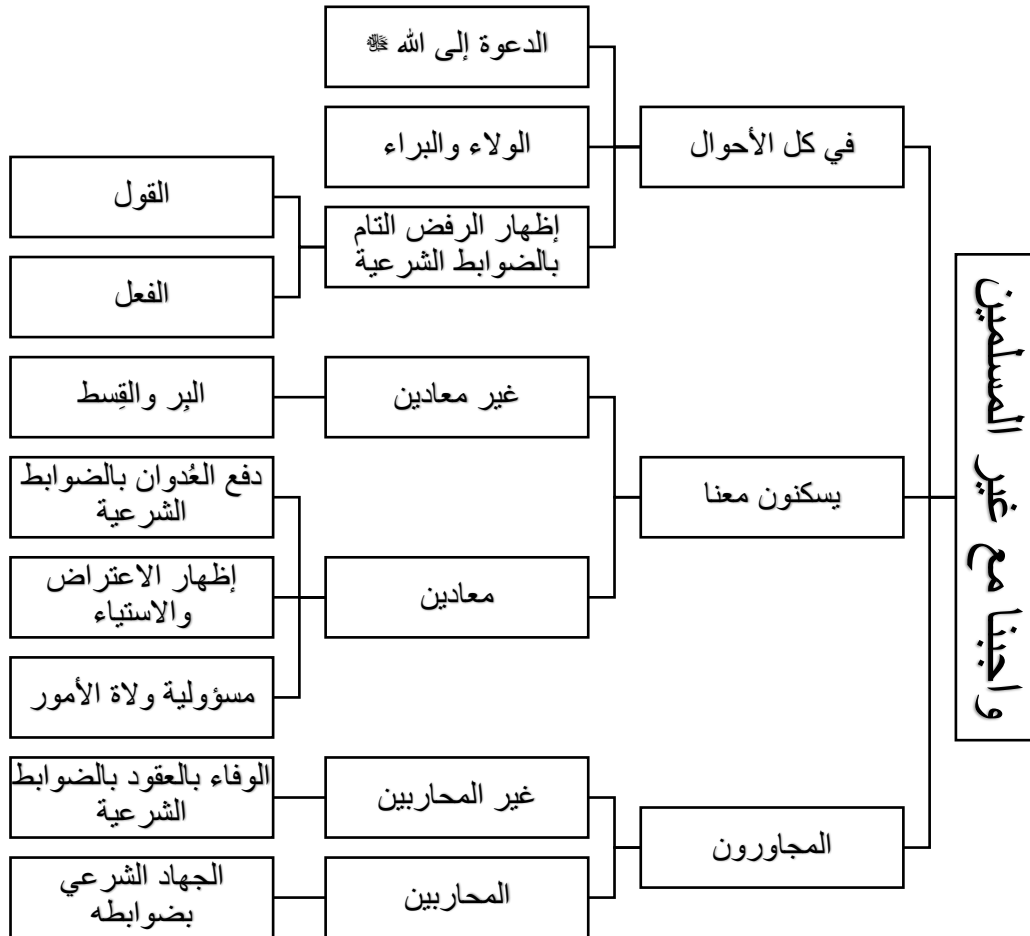
عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} وفي هذه الآية إشارة وبشارة إلى إسلام بعض المشركين، الذين كانوا إذ ذاك أعداء للمؤمنين، وقد وقع ذلك، والله الحمد والمنة.

ولما نزلت هذه الآيات الكريمات، المهيّجة على عداوة الكافرين، وقعت من المؤمنين كل موقع، وقاموا بها أتم القيام، وتأثموا من صلة بعض أقاربهم المشركين، وظنوا أن ذلك داخل فيما نبى الله عنه.

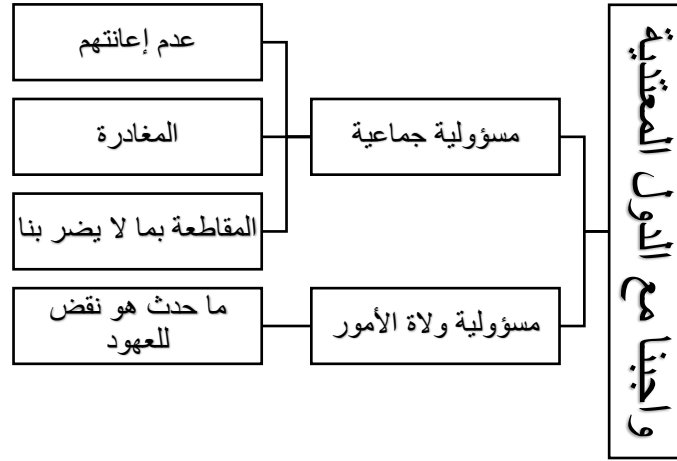
فأخبرهم الله أن ذلك لا يدخل في المحرم فقال: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلّتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة كما قال تعالى عن الأبوين المشركين إذا كان ولدهما مسلما: {وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَيْمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}

[وقوله:] {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ} أي: لأجل دينكم، عداوة لدين الله ولمن قام به، {وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا} أي: عاونوا غيرهم {عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ} نهاكم الله {أَنْ تَوَلَّوْهُمُ} بالمودة والنصرة، بالقول والفعل، وأما بركم وإحسانكم، الذي ليس بتول للمشركين، فلم ينهكم الله عنه، بل ذلك داخل في عموم الأمر بالإحسان إلى الأقارب وغيرهم من الأدميين، وغيرهم.

{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان توليا تاما، صار ذلك كفرا مخرجا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دون ذلك. انتهى من كلامه



## الواجب السابع :- مع الدول التي سمحت أو دعمت هذه الجريمة أو امتنعت عن إدانتها



### المغادرة

النساء (١٠٠)

{ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء: ١٠٠]

ذكر السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

هذا في بيان الحث على الهجرة والترغيب، وبيان ما فيها من المصالح، فَوَعَدَ الصادق في وَعَدِهِ أن من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته، أنه يجد مُرَاعِمًا في الأرض وسَعَةً، فالْمُرَاعِمُ مشتمل على مصالح الدين، والسَعَةُ على مصالح الدنيا.

وذلك أن كثيرًا من الناس يتوهم أن في الهجرة شتاتًا بعد الألفة، وفقيرًا بعد الغنى، وذلا بعد العز، وشدة بعد الرخاء.

والأمر ليس كذلك، فإن المؤمن ما دام بين أظهر المشركين فدينه في غاية النقص، لا في العبادات القاصرة عليه كالصلاة ونحوها، ولا في العبادات المتعدية كالجهاد بالقول والفعل، وتوابع ذلك، لعدم تمكنه من ذلك، وهو بصدد أن يُفْتَنَ عن دينه، خصوصًا إن كان مستضعفًا.

فإذا هاجر في سبيل الله تمكن من إقامة دين الله وجهاد أعداء الله ومراغمتهم، فإن المراغمة اسم جامع لكل ما يحصل به إغاظة لأعداء الله من قول وفعل، وكذلك ما يحصل له سعة في رزقه، وقد وقع كما أخبر الله تعالى.

واعتبر ذلك بالصحابة رضي الله عنهم فإنهم لما هاجروا في سبيل الله وتركوا ديارهم وأولادهم وأموالهم لله، كُمُلَ بذلك إيمانهم وحصل لهم من الإيمان التام والجهاد العظيم والنصر لدين الله، ما كانوا به أئمة لمن بعدهم، وكذلك حَصَلَ لهم مما يترتب على ذلك من الفتوحات والغنائم، ما كانوا به أغنى الناس، وهكذا كل من فعل فعلهم، حصل له ما حصل لهم إلى يوم القيامة.

ثم قال: { وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ } أي: قاصدا ربه ورضاه، ومَحَبَّةَ لرسوله وَنَصْرًا لدين الله، لا لغير ذلك من المقاصد { ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ } بقتل أو غيره، { فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } أي: فقد حصل له أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمن الله تعالى،

وذلك لأنه نوى وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله أن أعطاهم أجرهم كاملاً ولو لم يكملوا العمل، وغفر لهم ما حصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها.

ولهذا ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} يغفر للمؤمنين ما اقترفوه من الخطيئات، خصوصاً التائبين المنيبين إلى ربهم.

{رَحِيمًا} بجميع الخلق رحمة أوجدتهم وعافتهم ورزقتهم من المال والبنين والقوة، وغير ذلك. رحيمًا بالمؤمنين حيث وفقهم للإيمان، وعلمهم من العلم ما يحصل به الإيقان، ويسّر لهم أسباب السعادة والفلاح وما به يدركون غاية الأرباح، وسيرون من رحمته وكرمه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فنسأل الله ألا يحرمنا خيره بشر ما عندنا. انتهى من كلامه ﷺ

في "موسوعة التفسير بالمأثور" (٧٣) :-

١٩٨٨٣ - عن الزبير بن العوام - من طريق هشام بن عروة، عن أبيه - قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة، فنهشته حيّة في الطريق، فمات؛ فنزلت فيه: {ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيمًا}. قال الزبير: وكنت أتوقعه، وأنتظر قدومه وأنا بأرض الحبشة، فما أحزنني شيء حزني وفاته حين بلغني، لأنه قلَّ أحد ممن هاجر من قريش إلا ومعه بعض أهله أو ذي رحمته، ولم يكن معي أحدٌ من بني أسد بن عبد العزّى، ولا أرجو غيره

١٩٨٨٤ - عن عبد الله بن عباس - من طريق عكرمة - قال: خرج ضَمْرَةُ بن جندب من بيته مهاجراً، فقال لأهله: احملوني، فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فنزل الوحي: {ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله} الآية.

١٩٨٨٥ - عن عبد الله بن عباس - من طريق عكرمة - قال: كان بمكة رجل يقال له: ضمرة، من بني بكر، وكان مريضاً، فقال لأهله: أخرجوني من مكة؛ فإني أجد الحَرََّ. فقالوا: أين نخرجك؟ فأشار بيده نحو طريق المدينة، فخرجوا به، فمات على ميلين من مكة؛ فنزلت هذه الآية: {ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت}.

١٩٨٨٧ - عن سعيد بن جبيرة - من طريق إسرائيل عن سالم - عن أبي ضَمْرَةَ بن العيص الرُّزَقي الذي كان مصاب البصر، وكان بمكة، فلما نزلت: {إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة} فقال: إني لَعَنِي، وإني لَدُو حيلة. فتجَهَّرَ يريد النبي صلى الله عليه وسلم، فأدركه الموت بالتنعيم؛ فنزلت هذه الآية: {ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله}.

١٩٨٨٨ - عن سعيد بن جبيرة - من طريق قيس عن سالم الأقطس - قال: لما نزلت هذه الآية: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر} رخص فيها قومٌ من المسلمين ممن بمكة من أهل الضرر، حتى نزلت فضيلة المجاهدين على القاعدين، فقالوا: قد بين الله فضيلة المجاهدين على القاعدين، ورخص لأهل الضرر. حتى نزلت: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم} إلى قوله: {وساءت مصيراً} قالوا: هذه مُوجِبَةٌ. حتى نزلت: {إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً} فقال ضَمْرَةُ بن العيص أحد بني ليث، وكان مصاب البصر: إني لَدُو حيلة؛ لي مال فاحملوني. فخرج وهو مريض، فأدركه الموت عند التنعيم، فدُفِنَ عند مسجد التنعيم؛ فنزلت فيه



١٩٩٠٥ - عن مقاتل بن سليمان: [أنه لما نزلت: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم} الآية]: بعث النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية إلى مسلي مكة، فقال جندب بن حمزة الليثي ثم الجندعي لبنيه: احملوني؛ فأني لست من المستضعفين، وإني أهدى بالطريق، ولو ميتاً لنزلت في الآية. وكان شيخاً كبيراً، فحمله بنوه على سريره متوجهاً إلى المدينة، فمات بالتنعيم، فبلغ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موته، فقالوا: لو لحق بنا لأتم الله أجره. فأراد الله عز وجل أن يعلمهم أنه لا يخيب من التمس رضاه؛ فأنزل الله عز وجل: {ومن يهاجر في سبيل الله}

## الواجب الثامن :- مع من قام بهذه الجريمة النكراء

### الواجب الأول

الحديث الأول : حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه في غزوة بدر

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب فرض الخمس ، باب من لم يخمس الأسلاب) قال :- ( حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ : حَدَّثَنَا يُوْسُفُ بْنُ الْمَاجِشُونِ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَتَنظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي ، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمَا ، تَمَثَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْغَعٍ مِثْمَمَا ، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا ، فَقَالَ : يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي ؟ قَالَ : أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا ، فَتَعَجَّبْتُ لِدَلِكِ ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ تَنظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ ، قُلْتُ : أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي ، فَاثْبَدْرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا ، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ ، فَقَالَ : أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ؟ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِثْمَمَا : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ : هَلْ مَسَخْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ، قَالَا : لَا ، فَتَنظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ ، فَقَالَ : كِلَاكُمَا قَتَلَهُ ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ . ) (٧٤)

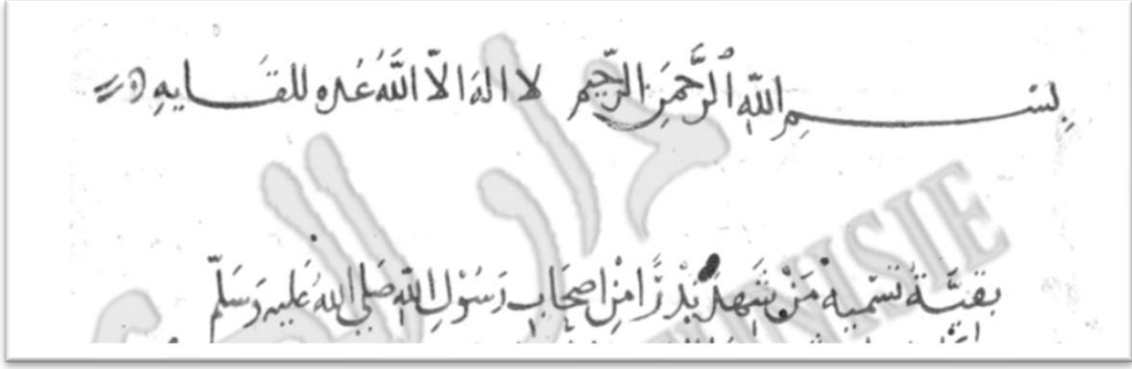
وذكر موسى بن عتبة في كتاب (مغازي سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٧٥)



(٧٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩١ / ٤) برقم: (٣١٤١) (كتاب فرض الخمس ، باب من لم يخمس الأسلاب)

(٧٥) مخطوط المغازي لموسى بن عتبة ، وهي نسخة مشرقية فهرست بشكل صحيح في مكتبة تونس ، وتجددها على [الرباط](#) ونسخة محمد باقشيش أبو مالك - جامعة ابن زهر وتجددها على

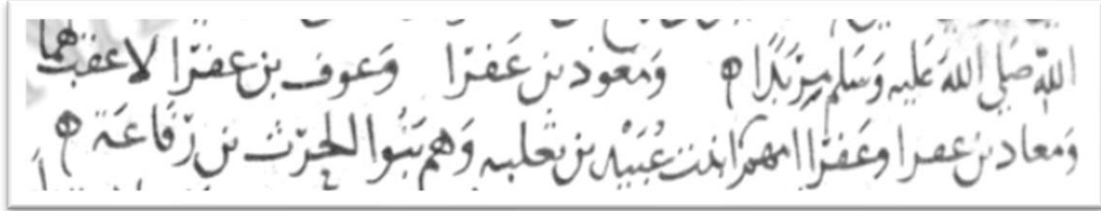
[الرباط](#) في الجزء الرابع من مغازي سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم



في (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لا اله الا الله عدة للقائه

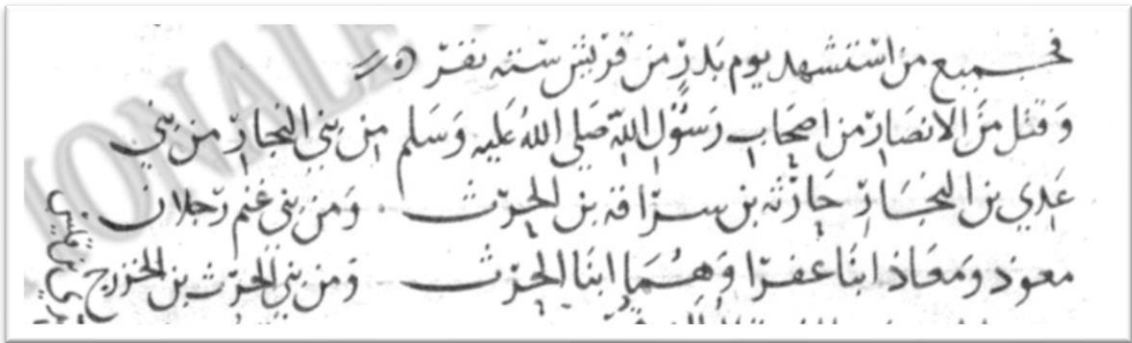
بقية تسمية من شهد بدرًا من اصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :-

إلى أن ذكر في اللوح السابع ما نصّه



(ومعوذ بن عفرا وعوف بن عفرا لا عقب لهما ومعاذ بن عفرا وعفرا بن عفرا ومعوذ بن عفرا لا عقبها ومعوذ بن عفرا وعفرا بن عفرا وعوف بن عفرا لا عقبها وهم بنو الحرث بن رفاعه)

وفي اللوح العاشر



(فجميع من استشهد يوم بدر من قريش ستة نفر

وقيل من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ من بني النجار من بني عدي بن النجار حارثة بن سراقه بن الحرث، ومن بني غنم رجلا

معوذ ومعاذ ابنا عفرا وهما ابنا الحارث)

وفي اللوح الحادي عشر

اشتد اذات حين قدم و قتل من المشركين يوم بدر من بني عبد شمس

(.. وقتل من المشركين يوم بدر..)

إلى أن ذكر في نفس اللوح

والعاص بن سعيد قتله بن عذرا

(والعاص بن سعيد قتله بن عذرا)

إلى أن ذكر في نفس اللوح

ومن بني مخزوم بن يقظة / ستة عشر رجلاً ابو جهل بن هشام  
يزعمون ان معاذ بن عفراء قتله ويقولون قتله بن الجموح واخوه العاص بن هشام

(ومن بني مخزوم بن يقظة ستة عشر رجلاً ابو جهل بن هشام يزعمون ان معاذ بن عفراء قتله ويقولون قتله بن الجموح واخوه العاص بن هشام)

الحديث الثاني : حديث قتل كعب بن الأشرف

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف) قال :- (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ: قَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَجِبُ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ: قُلْ. فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَانَا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ، قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَهُ، قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نَجِبُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ نُسَلِفْنَا وَسَقًا أَوْ وَسَقَيْنَ، وَحَدَّثَنَا عَمْرُو غَيْرَ مَرَّةٍ، فَلَمْ يَذْكُرْ وَسَقًا أَوْ وَسَقَيْنَ، فَقُلْتُ لَهُ: فِيهِ وَسَقًا أَوْ وَسَقَيْنَ؟ فَقَالَ: أَرَى فِيهِ وَسَقًا أَوْ وَسَقَيْنَ فَقَالَ: نَعَمْ، ارْهَنُونِي، قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيَقَالُ: رَهْنٌ بَوَسَقٍ أَوْ وَسَقَيْنَ، هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأَمَةَ قَالَ سُفْيَانُ: يَغْنِي السِّلَاحَ فَوَاعِدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ، فَتَزَلَّ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرُو، قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقَطِرُ مِنْهُ الدَّمُ، قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ

بُنْ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةِ بَلِيلٍ لَأَجَابَ. قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدٌ بُنْ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَاهُمْ عَمْرُو؟ قَالَ: سَعَى بَعْضُهُمْ قَالَ عَمْرُو: جَاءَ مَعَهُ بَرَجْلَيْنِ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرُو: أَبُو عَبْسٍ بُنْ جَبْرِ وَالْحَارِثُ بُنْ أَوْسٍ وَعَبَّادُ بُنْ بَشِيرٍ قَالَ عَمْرُو: جَاءَ مَعَهُ بَرَجْلَيْنِ، فَقَالَ إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَاسْمُهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمَكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ. وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أَشْمُكُمْ، فَزَلَّ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفُخُ مِنْهُ رِيحَ الطَّيِّبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا، أَيُّ أَطْيَبِ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرُو: قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ عَمْرُو: فَقَالَ: أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَشْمَ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْمُهُ، ثُمَّ أَشْمَ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذُنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمَكَنَ مِنْهُ، قَالَ: دُونَكُمْ، فَفَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ. (٧٦)

الحديث الثالث : حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه

أخرج ابن خزيمة في "صحيحه" (كتاب الصلاة، باب الرخصة في الصلاة ماشيا عند طلب العدو) قال :- (أخبرنا أبو طاهر، قال : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحِ الْهُذَلِيِّ، وَبَلَغَهُ أَنَّهُ يَجْمَعُ لَهُ، وَكَانَ [مَرَّ نَحْوًا] عُرْنَةَ وَعَرَفَاتٍ، قَالَ لِي : " اذْهَبْ فَاقْتُلْهُ " قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُ لِي . قَالَ : " إِذَا رَأَيْتَهُ أَحَدَتْكَ فَشَعْرِيرَةٌ، لَا عَلَيْكَ أَنْ لَا أَصِفَ لَكَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا ". قَالَ : وَكَانَ رَجُلًا أَرْبَ وَأَشَعَرَ، قَالَ : انْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا دَنَوْتُ مِنْهُ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، صَلَاةَ الْعَصْرِ، قَالَ : قُلْتُ : إِنِّي لِأَخَافُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي [وَبَيْنَهُ] مَا أَنْ أُوجِرَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أُمِّي أَوْمِي إِيْمَاءَ نَحْوَهُ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا عَدَا أَنْ رَأَيْتُهُ أَفْشَعُرْتُ، وَإِذَا هُوَ فِي ظُعْنٍ لَهُ - أَيُّ فِي نِسَائِهِ - فَمَسَيْتُ مَعَهُ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ : رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَجْمَعُ لِهَذَا الرَّجُلِ، فَجِئْتُكَ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ : إِنِّي لَفِي ذَلِكَ. قَالَ : قُلْتُ فِي نَفْسِي : سَتَعَلَّمُ. قَالَ : فَمَسَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً حَتَّى إِذَا أَمَكَّنِي عُلُوتُهُ بِسَيْفِي حَتَّى بَرَدَ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، فَأَعْطَانِي مِخْصَرًا - يَقُولُ : عَصَا - فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ لِي أَصْحَابِي : مَا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ : قُلْتُ : مِخْصَرًا. قَالُوا : وَمَا تَصْنَعُ بِهِ مَاذَا؟ أَلَا سَأَلْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَ أَعْطَاكَ هَذَا، وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ عُدَّ إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ. قَالَ : فَعُدْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمِخْصَرُ أَعْطَيْتَنِيهِ لِمَذَا؟ قَالَ : إِنَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَقْلُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ الْمُخْتَصِرُونَ. قَالَ : فَعَلَّقَهَا فِي سَيْفِهِ لَا تُفَارِقُهُ، فَلَمَّ تُفَارِقُهُ [مَا كَانَ حَيًّا، فَلَمَّا حَضَرْتَهُ الْوَفَاةُ أَمَرْنَا أَنْ تُدْفَنَ مَعَهُ قَالَ : فَجَعَلْتُ وَاللَّهِ فِي كَفْنِهِ]. (٧٧)

الحديث الرابع : حديث فتح مكة

أخرج الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه) قال :- (أخبرنا زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي، أن الحسين بن عبد الملك الأديب أخبرهم قراءة عليه، أنا إبراهيم بن منصور، أنا محمد بن إبراهيم، أنا أحمد بن علي الموصلي، نا أبو بكر بن أبي شيبه، نا أحمد بن المفضل، نا أسباط بن نصر، قال : زعم السدي، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال : لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس إلا أربعة نفرٍ وأمراةين، وقال : اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن حنظل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح .

(٧٦) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ٩٠) برقم: (٤٠٣٧) (كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف)

(٧٧) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٢ / ١٧٩) برقم: (٩٨٢) (كتاب الصلاة، باب الرخصة في الصلاة ماشيا عند طلب العدو)

فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَطَلٍ فَأُذِرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكُعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا - وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ - فَقَتَلَهُ .

وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأُذِرَكَ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ .

وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفَةٌ ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ لِأَهْلِ السَّفِينَةِ : أَخْلِصُوا ، فَإِنَّ إِلَهَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ : لَيْنَ لَمْ يُنَجِّنِي فِي الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ فَمَا يُنَجِّنِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَاقَبْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ آتِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ فَلَا جِدْنَهُ عَفْوًا كَرِيمًا ، قَالَ : فَجَاءَ وَأَسْلَمَ .

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ عُثْمَانُ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَايِعَ عَبْدَ اللَّهِ ، قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا ، كُلَّ ذَلِكَ يَأْتِي ، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : مَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حِينَ رَأَيْتُ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَفْتُلُهُ ؟ قَالُوا : وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ أَعْيُنٍ .

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ . وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ زَكَرِيَّا بْنِ دِينَارٍ ، كِلَاهُمَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْمُفَضَّلِ بِنَحْوِهِ . (٧٨)

الحديث الخامس : حديث الأعمى الذي كانت له أم ولد تسبُّ رسول الله ﷺ

أَخْرَجَ الضَّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي "الْأَحَادِيثِ الْمُخْتَارَةِ" ( من اسمه عبد الله ، عثمان الشحام البصري أبو سلمة عن عكرمة ) قال :- ( أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْدَلَانِيُّ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدِ الْخَيْرِ ، أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَتْهُمْ ، أَنَّهَا مُحَمَّدٌ ، أَنَّهَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبْرَانِيُّ ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَلْوَنَةَ الْقَطَّانُ ، ثنا عَبَّادُ بْنُ مُوسَى الْخُتَلِيُّ ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ عُثْمَانَ الشَّحَامِ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمٌّ وَلِدٌ تَشْتُمُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتُكْفِرُ الْوَقِيعَةَ فِيهِ ؛ فَبَيْتَاهَا فَلَا تَنْتَهِي ، وَيَرْجُرُّهَا فَلَا تَنْزَجِرُ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ذَكَرَتِ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَوَقَعَتْ فِيهِ ، فَلَمْ يَصْبِرْ أَنْ قَامَ إِلَى الْمَغُولِ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا ، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَهَا ، فَأَصْبَحَ طِفْلَاهَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا مُتَلِخِخِينَ بِالِدَّمِ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَامَ فَجَمَعَ النَّاسَ ثُمَّ قَالَ : " أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا لِي عَلَيْهِ حَقٌّ فَعَلَّ مَا فَعَلَ لِمَا قَامَ " فَأَقْبَلَ الْأَعْمَى يَتَوَلَّوْا ، فَقَالَ : أَنَا وَاللَّهِ ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ صَاحِبِهَا ، وَهِيَ أُمٌّ وَلَدِي ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللَّوْلُوتَيْنِ ، وَإِنْ كَانَتْ بِي لِرَفِيقَةٍ لَطِيفَةً ، وَلِكَيْتَمَا كَانَتْ تَذَكُرُكَ ، فَتَسُبُّكَ فَأَنْتَاهَا فَلَا تَنْتَهِي ، وَأَرْجُرُّهَا فَلَا تَنْزَجِرُ ، فَلَمَّا كَانَتْ الْبَارِحَةَ ذَكَرْتُكَ فَوَقَعْتُ فِيكَ ، فَلَمْ أَصْبِرْ أَنْ قُمْتُ إِلَى الْمَغُولِ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا ، ثُمَّ اتَّكَأْتُ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلْتَهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَشْهَدُ أَنَّ دَمَهَا هَدْرٌ . ) (٧٩)

الحديث السادس : حديث اليهودية التي كانت تشتم النبي ﷺ

أَخْرَجَ الضَّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي "الْأَحَادِيثِ الْمُخْتَارَةِ" ( من حديث أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ، عامر بن شراحيل الشعبي عن علي عليه السلام ) قال :- ( أَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصِ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَعْمَرِ الْمُؤَدَّبِ - بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ - قُلْتُ لَهُ : أَخْبَرْتُمْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ الْكُرْخِيِّ - قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنْتَ تَسْمَعُ - أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ تَابِتِ الْخَطِيبِ ، أَنَا الْقَاسِمُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَّاحِدِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ ، ثنا أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ ، ثنا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَرَّاحِ ، عَنْ جَبْرِ

(٧٨) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٢/ ٢٤٨) برقم: (١٠٥٤) (مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه)

(٧٩) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٢/ ١٥٧) برقم: (١٧٧) (من اسمه عبد الله ، عثمان الشحام البصري أبو سلمة عن عكرمة)

، عَنْ مُعْبِرَةَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَسْتُمُّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَقَعُ فِيهِ ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ ، حَتَّى مَاتَتْ ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَمَهَا . كَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . ( ٨٠ )

### الواجب الثاني : الدعاء

قول الله ﷻ على لسان نوح ﷺ

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [نوح: ٦٦-٦٧]

قول الله ﷻ على لسان موسى ﷺ

﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [يونس: ٨٨ - ٨٩]

الحديث الأول : حديث رِغْلٍ وَذُكْوَانَ وَبَنِي لِحْيَانَ وَبَنِي عُصَيَّةَ

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير ، باب من ينكب في سبيل الله) قال :- ( حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْحَوْضِيُّ : حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ فَلَمَّا قَدِمُوا : قَالَ لَهُمْ خَالِي : اتَّقَدُّمُكُمْ فَإِنْ أَمَّنُونِي حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَّا كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا فَتَقَدَّم فَاَمَّنُوهُ فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَوْمَأُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ فُرْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ثُمَّ مَالُوا عَلَى بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا رَجُلًا أَعْرَجَ صَعِدَ الْجَبَلَ قَالَ هَمَّامٌ : فَأَرَاهُ آخَرَ مَعَهُ فَأَخْبَرَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُمْ قَدْ لُقُوا رَبَّهُمْ فَرَضِيَ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ فَكُنَّا نَقْرَأُ : أَنْ يَلْعَوْا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا ثُمَّ نَسَخَ بَعْدُ فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا عَلَى رِغْلٍ وَذُكْوَانَ وَبَنِي لِحْيَانَ وَبَنِي عُصَيَّةَ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ) ( ٨١ )

الحديث الثاني : حديث دَوْس

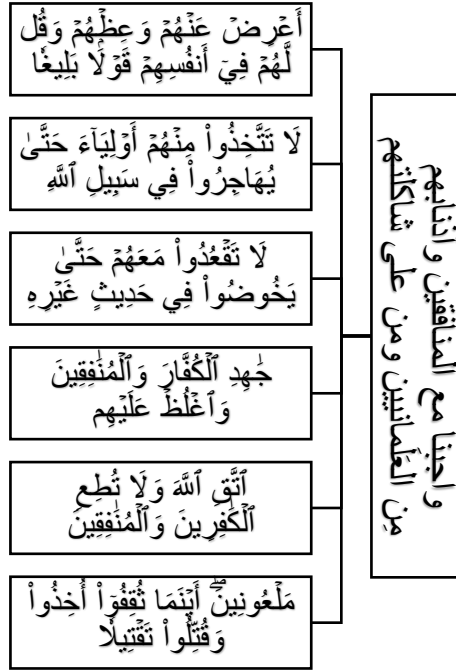
أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم) قال :- ( حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ : حَدَّثَنَا أَبُو الرِّثَادِ : أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدِمَ طَفِيلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا فَيَقِيلَ : هَلَكْتُ دَوْسٌ قَالَ : اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَبْ يَوْمَهُمْ . ) ( ٨٢ )

( ٨٠ ) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" ( ٢ / ١٦٩ ) برقم: ( ٥٤٧ ) ( من حديث أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ، عامر بن شراحيل الشعبي عن علي عليه السلام )

( ٨١ ) أخرجه البخاري في "صحيحه" ( ٤ / ١٨ ) برقم: ( ٢٨٠١ ) (كتاب الجهاد والسير ، باب من ينكب في سبيل الله)

( ٨٢ ) أخرجه البخاري في "صحيحه" ( ٤ / ٤٤ ) برقم: ( ٢٩٣٧ ) (كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم)

## الواجب التاسع :- مع المنافقين والعلمانيين وأذناهم ومن على شاكلتهم



النساء (٦٣)

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]

ذكر السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: من النفاق والقصد السيئ.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تبال بهم ولا تقابلهم على ما فعلوه واقترفوه.

﴿وَعِظْهُمْ﴾ أي: بين لهم حكم الله تعالى مع الترغيب في الانقياد لله، والترهيب من تركه ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ أي: انصحهم سرا بينك وبينهم، فإنه أنجح لحصول المقصود، وبالغ في زجرهم وقمعهم عما كانوا عليه، وفي هذا دليل على أن مقترف المعاصي وإن أعرض عنه فإنه ينصح سراً، ويبالغ في وعظه بما يظن حصول المقصود به. انتهى من كلامه ﷺ

النساء (٨٨ - ٨٩)

﴿\* فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [٨٨] ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَحُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَاِلْيَاءَ وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٨-٨٩]

ذكر السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

المراد بالمنافقين المذكورين في هذه الآيات: المنافقون المظهرون إسلامهم، ولم يهاجروا مع كفرهم، وكان قد وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم فيهم اشتباه، فبعضهم تخرج عن قتالهم، وقطع موالاتهم بسبب ما أظهروه من الإيمان، وبعضهم علم أحوالهم بقرائن



أفعالهم فحكم بكفرهم. فأخبرهم الله تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشتموها فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرر كفرهم، وودوا مع ذلك كفركم وأن تكونوا مثلهم. فإذا تحققت ذلك منهم ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ وهذا يستلزم عدم محبتهم لأن الولاية فرع المحبة. ويستلزم أيضا بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي ﷺ يجري أحكام الإسلام لكل من كان معه وهاجر إليه، وسواء كان مؤمنا حقيقة أو ظاهر الإيمان. وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها ﴿فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ أي: في أي وقت وأي محل كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد التحريم في الأشهر الحرم. انتهى من كلامه ﷺ

## النساء (١٤٠)

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]

ذكر السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

أي: وقد بين الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي: يستهان بها. وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، وهذا المقصود بانزالها، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، فبصد الإيمان الكفر بها، وصد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم. وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله لأنها لا تدل إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقا، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيها، وتقتحم حدوده التي حدها لعباده ومنتهى هذا النهي عن القعود معهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي: غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها.

﴿إِنَّكُمْ إِذَا﴾ أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكورة ﴿مَثَلْتُمْ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن من حضر مجلسا يعصى الله به، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها.

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا على الكفر والموالات ولا ينفع الكافرين مجرد كونهم في الظاهر مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ إلى آخر الآيات. انتهى من كلامه ﷺ

## التوبة (٧٣)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ ٧٣ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلِمِهِمْ وَهُمْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٧٤

[التوبة: ٧٣-٧٤]

ذكر السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

يقول تعالى لنبيه ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: بالغ في جهادهم والغلظة عليهم حيث اقتضت الحال الغلظة عليهم. وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان. ومن كان مدعنا للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ويبين له محاسن الإسلام، ومساوئ الشرك والكفر، فهذا ما لهم في الدنيا.

﴿و﴾ أما في الآخرة، ف﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مقرهم الذي لا يخرجون منها ﴿وَبئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ أي: إذا قالوا قولاً كقول من قال منهم ﴿ليخرجن الأعرز منها الأذل﴾ والكلام الذي يتكلم به الواحد بعد الواحد، في الاستهزاء بالدين، وبالرسول.

فإذا بلغهم أن النبي ﷺ قد بلغه شيء من ذلك، جاءوا إليه يحلفون بالله ما قالوا.

قال تعالى مكذبا لهم ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ فإسلامهم السابق - وإن كان ظاهره أنه أخرجهم من دائرة الكفر - فكلامهم الأخير ينقض إسلامهم، ويدخلهم بالكفر.

﴿وَهُمْ أُولُو بِمَالٍ لَمْ يَتَّالُوا﴾ وذلك حين هموا بالفتك برسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقص الله عليهم نبأهم، فأمر من يصددهم عن قصدهم.

﴿و﴾ الحال أنهم ﴿مَا نَقَمُوا﴾ وعابوا من رسول الله ﷺ ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بعد أن كانوا فقراء معوزين، وهذا من أعجب الأشياء، أن يستهينوا بمن كان سبباً لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومغنياً لهم بعد الفقر، وهل حقه عليهم إلا أن يعظموه، ويؤمنوا به ويجلوه؟" فاجتمع الداعي الديني وداعي المروءة الإنسانية.

ثم عرض عليهم التوبة فقال: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ لأن التوبة، أصل لسعادة الدنيا والآخرة.

﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن التوبة والإنابة ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ في الدنيا بما ينالهم من الهم والغم والحزن على نصرة الله لدينه، وإعزاز نبيه، وعدم حصولهم على مطلوبهم، وفي الآخرة، في عذاب السعير.

﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى أمورهم، ويحصل لهم المطلوب ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ يدفع عنهم المكروه، وإذا انقطعوا من ولاية الله تعالى، فتم أصناف الشر والخسران، والشقاء والحرمان. انتهى من كلامه ﷺ

## الأحزاب (١)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]

ذكر السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

أي: يا أيها النبي من الله عليه بالنبوة، واختصه بوحيه، وفضله على سائر الخلق، اشكر نعمة ربك عليك، باستعمال تقواه، التي أنت أولى بها من غيرك، والتي يجب عليك منها، أعظم من سواك، فامتثل أوامره ونواهيه، وبلغ رسالاته، وأد إلى عباده وحيه، وابذل النصيحة للخلق.

ولا يصدنك عن هذا المقصود صاد، ولا يردك عنه راد، فلا تطع كل كافر، قد أظهر العداوة لله ورسوله، ولا منافق، قد استبطن التكذيب والكفر، وأظهر ضده.

فهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة، فلا تطعهم في بعض الأمور، التي تنقض التقوى، وتناقضها، ولا تتبع أهواءهم، فيضلوك عن الصواب. انتهى من كلامه ﷺ

#### الأحزاب (٤٨)

﴿وَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعٰ اٰذٰنُهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلٰى اللّٰهِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيلًا﴾ (٤٨) [الأحزاب: ٤٨]

ذكر السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

ولما كان ثمَّ طائفة من الناس، مستعدة للقيام بصد الداعين إلى الله، من الرسل وأتباعهم، وهم المنافقون، الذين أظهروا الموافقة في الإيمان، وهم كفرة فجرة في الباطن، والكفار ظاهراً وباطناً، نهى الله رسوله عن طاعتهم، وحذره ذلك فقال: ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ﴾ أي: في كل أمر يصد عن سبيل الله، ولكن لا يقتضي هذا أذاهم، [بل لا تطعهم ﴿وَدَعٰ اٰذٰنُهُمْ﴾] فإن ذلك، جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كف كثير من أذيتهم له، ولأهله.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلٰى اللّٰهِ﴾ في إتمام أمرك، وخذلان عدوك، ﴿وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيلًا﴾ تُوكَلُ إليه الأمور المهمة، فيقوم بها، ويسهلها على عبده. انتهى من كلامه ﷺ

#### الأحزاب (٦٠ - ٦٢)

﴿\* لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا اِلَّا قَلِيلاً﴾ (٦٠) ﴿مَلْعُونِينَ اٰتَيْنَا ثِقُفًا اُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلاً﴾ (٦١) ﴿سُنَّةَ اللّٰهِ فِي الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَبْدِيلاً﴾ (٦٢) [الأحزاب: ٦٠-٦٢]

ذكر السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

﴿\* لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا اِلَّا قَلِيلاً﴾ [الأحزاب ٦٠] وأما من جهة أهل الشر فقد توعدهم بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: مرض شك أو شهوة ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: المخوفون المرهبون الأعداء، المحدثون بكثرتهم وقوتهم، وضعف المسلمين.

ولم يذكر المعمول الذي ينتهون عنه، ليعم ذلك، كل ما توجي به أنفسهم إليهم، وتوسوس به، وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسبب الإسلام وأهله، والإرجاف بالمسلمين، وتوهين قواهم، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، وغير ذلك من المعاصي الصادرة، من أمثال هؤلاء.

﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: نأمرك بعقوبتهم وقتالهم، ونسلطك عليهم، ثم إذا فعلنا ذلك، لا طاقة لهم بك، وليس لهم قوة ولا امتناع، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا اِلَّا قَلِيلاً﴾ أي: لا يجاورونك في المدينة إلا قليلاً، بأن تقتلهم أو تنفيمهم.

وهذا فيه دليل، لنفي أهل الشر، الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر، وأبعد منه، ويكونون {مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا}

أي: مبعدين، أين وجدوا، لا يحصل لهم أمن، ولا يقر لهم قرار، يخشون أن يقتلوا، أو يحبسوا، أو يعاقبوا.

{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} أن من تمادى في العصيان، وتجراً على الأذى، ولم ينته منه، فإنه يعاقب عقوبة بليغة. {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} أي تغييراً، بل سنته تعالى وعادته، جارية مع الأسباب المقتضية لأسبابها

{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} أن من تمادى في العصيان، وتجراً على ال أذى، ولم ينته منه، فإنه يعاقب عقوبة بليغة.

{وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} أي تغييراً، بل سنته تعالى وعادته، جارية مع الأسباب المقتضية لأسبابها. انتهى من كلامه

## التحريم (٩)

{يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التحريم: ٩]

ذكر السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

يأمر [الله] تعالى نبيه ﷺ، بجهاد الكفار والمنافقين، والإغلاظ عليهم في ذلك، وهذا شامل لجهادهم، بإقامة الحجة [عليهم ودعوتهم] بالموعظة الحسنة، وإبطال ما هم عليه من أنواع الضلال، وجهادهم بالسلاح والقتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله وينقاد لحكمه، فإن هذا يجاهد ويغلظ له، وأما المرتبة الأولى، فتكون بالتي هي أحسن، فالكفار والمنافقون لهم عذاب في الدنيا، بتسليط الله لرسوله وحزبه [عليهم و] على جهادهم وقتالهم، وعذاب النار في الآخرة وبئس المصير، الذي يصير إليهما كل شقي خاسر. انتهى من كلامه

## الواجب العاشر -: مع الأزواج والأبناء

أُفِرِدَ هذا الواجب لأهميته

### التحريم (٦)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]

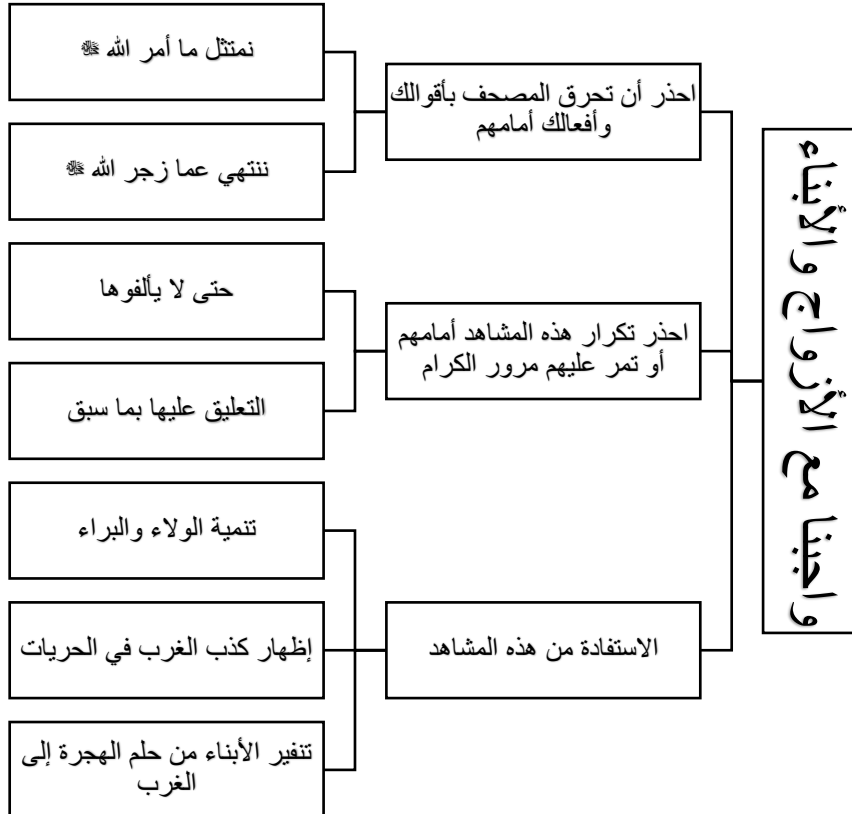
قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

أي: يا من من الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه.

ف﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بالزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالاً، ونهيه اجتناباً، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل [والأولاد]، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه.

ووصف الله النار بهذه الأوصاف، ليزجر عباده عن التهاون بأمره فقال: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾.

﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ أي: غليظة أخلاقهم، عظيم انتهارهم، يفزعون بأصواتهم ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمثلون فيهم أمر الله، الذي حتم عليهم العذاب وأوجب عليهم شدة العقاب، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وهذا فيه أيضاً مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به. انتهى من كلامه



## المبحث الثالث عشر - المسلم لا يهون على الله ﷻ وإن هان على الناس

لنا في الأنبياء قدوة وأسوة

نبينا محمد ﷺ

آل عمران (١٨٤)

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ٧٨]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) في "تفسيره" :-

ثم سأل رسول الله ﷺ ، فقال: ﴿فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك﴾ أي: هذه عادة الظالمين، ودأبهم الكفر بالله، وتكذيب رسل الله وليس تكذيبهم لرسل الله، عن قصور ما أتوا به، أو عدم تبين حجة، بل قد ﴿جاءوا بالبينات﴾ أي: الحجج العقلية، والبراهين النقلية، ﴿والزبر﴾ أي: الكتب المزبورة المنزلة من السماء، التي لا يمكن أن يأتي بها غير الرسل.

﴿والكتاب المنير﴾ للأحكام الشرعية، وبيان ما اشتملت عليه من المحاسن العقلية، ومنير أيضا للأخبار الصادقة، فإذا كان هذا عادتهم في عدم الإيمان بالرسل، الذين هذا وصفهم، فلا يحزنك أمرهم، ولا يهمنك شأنهم. انتهى من كلامه ﷺ

### الحديث الأول

أخرج مسلم في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين والمنافقين ) قال :- ( وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبَانَ الْجُعْفِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ (يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ) ، عَنْ زَكَرِيَاءَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونِ الْأَوْدِيِّ ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ ، وَقَدْ نُجِرَتْ جُرُورٌ بِالْأَمْسِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جُرُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَيْفِي مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ؟ فَأَنْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، قَالَ : فَاسْتَضَحُّكُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظَرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُورِيَةٌ فَطَرَحْتُهُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ ، رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ إِذَا دَعَا ثَلَاثًا ، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ، (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) . فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ، ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحِكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بَنِي هِشَامٍ ، وَعُتْبَةَ بَنِي رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بَنِي رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدَ بَنِي عُقْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بَنِي خَلْفٍ ، وَعُقْبَةَ بَنِي أَبِي مُعَيْطٍ (وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ) ، قَوْلَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَى صَرَعى يَوْمَ بَدْرٍ ، ثُمَّ سَجَبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ . قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ غَلَطَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ . (٨٣)

### الحديث الثاني

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب الأطعمة ، باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة) قال :- ( حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ يُونُسَ قَالَ عَلِيُّ : هُوَ الْإِسْكَافُ عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ

(٨٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٥ / ١٧٩) برقم: (١٧٩٤) (كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين والمنافقين)

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ عَلَى سُكْرُجَةٍ قَطُّ وَلَا خُبْرَ لَهُ مُرْفَقٌ قَطُّ ، وَلَا أَكَلَ عَلَى حِوَانٍ قَبِيلٍ لِقَتَادَةَ : فَعَلَى مَا كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قَالَ: عَلَى السُّفْرِ . (٨٤)

ذكر ابن حجر رحمه الله في "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" عند هذا الحديث :-

قَوْلُهُ : ( عَلَى سُكْرُجَةٍ ) بِضَمِّ السَّيْنِ وَالْكَافِ وَالرَّاءِ الثَّقِيلَةِ بَعْدَهَا جِيمٌ مَفْتُوحَةٌ ، قَالَ عِيَّاضٌ : كَذَا قَبِدْنَاهُ ، وَنُقِلَ عَنِ ابْنِ مَكِّيٍّ أَنَّهُ صَوَّبَ فَتَحَ الرَّاءِ ، قُلْتُ : وَبِهَذَا جَزَمَ التُّورِيسِيُّ وَزَادَ : لِأَنَّهُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ ، وَالرَّاءُ فِي الْأَصْلِ مَفْتُوحَةٌ وَلَا حُجَّةَ فِي ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْإِسْمَ الْأَعْجَمِيَّ إِذَا نَطَقَتْ بِهِ الْعَرَبُ لَمْ تُنْقِهِ عَلَى أَصْلِهِ غَالِبًا . وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : قَالَ لَنَا شَيْخُنَا أَبُو مَنْصُورٍ اللَّغَوِيُّ - يَعْنِي الْجَوَالِيقِيَّ - بِفَتْحِ الرَّاءِ ، قَالَ : وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ اللَّغَةِ يَقُولُ : الصَّوَابُ أُسْكْرُجَةٌ وَهِيَ فَارِسِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ ، وَتَرْجَمَتُهَا مُقَرَّبُ الْخَلِ ، وَقَدْ تَكَلَّمَتْ بِهَا الْعَرَبُ ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : فَإِنْ حَقَّرْتَ حَدَفْتَ الْجِيمَ وَالرَّاءَ وَقُلْتَ أَسْكَرَ ، وَجَوُزٌ إِشْبَاعُ الْكَافِ حَتَّى تَزِيدَ يَاءً ، وَقِيَّاسُ مَا ذَكَرَهُ سَبَبِيٌّ فِي " بَرِّيهِمْ " أَنْ يُقَالَ فِي سُكْرِيَّةٍ سُكْرِيَّةٍ ، وَالَّذِي سَبَقَ أَوَّلَى . قَالَ ابْنُ مَكِّيٍّ : وَهِيَ صَحَافٌ صَغَارٌ يُؤْكَلُ فِيهَا ، وَمِنْهَا الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ ، فَالْكَبِيرَةُ تَحْمِلُ قَدْرَ سِتِّ أَوَاقٍ ، وَقِيلَ : مَا بَيْنَ ثُلْثَيْ أُوقِيَّةٍ إِلَى أُوقِيَّةٍ ، قَالَ : وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْعَجَمَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُهُ فِي الْكُومِيخِ وَالْجَوَارِشِ لِلتَّسْبِيِّ وَالْهَضْمِ ، وَأَعْرَبَ الدَّوْدِيُّ فَقَالَ : السُّكْرُجَةُ قَصْعَةٌ مَدْهُونَةٌ ، وَنُقِلَ ابْنُ قُرْقُولٍ عَنْ غَيْرِهِ أَنَّهَا قَصْعَةٌ ذَاتُ قَوَائِمٍ مِنْ عُوْدٍ كَمَا نِدَتْ صَغِيرَةً وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى ، قَالَ شَيْخُنَا فِي " شَرْحِ التَّرْمِذِيِّ " : تَرَكُهُ الْأَكْلُ فِي السُّكْرُجَةِ ؛ إِمَّا لِكُونِهَا لَمْ تَكُنْ تُصْنَعُ عِنْدَهُمْ إِذْ ذَاكَ ، أَوْ اسْتِصْعَارًا لَهَا ؛ لِأَنَّ عَادَتَهُمُ الْاجْتِمَاعُ عَلَى الْأَكْلِ أَوْ لِأَنَّهَا - كَمَا تَقَدَّمَ - كَانَتْ تُعَدُّ لِيَوْضِعَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تُعِينُ عَلَى الْهَضْمِ ، وَلَمْ يَكُونُوا غَالِبًا يَشْبَعُونَ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَاجَةٌ بِالْهَضْمِ .

قَوْلُهُ : ( قَبِيلٍ لِقَتَادَةَ ) الْقَائِلُ هُوَ الرَّاوي .

قَوْلُهُ : ( فَعَلَامٌ ) كَذَا لِلْأَكْثَرِ ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْمُسْتَمْلِي بِالْإِشْبَاعِ .

قَوْلُهُ : ( يَأْكُلُونَ ) كَذَا عَدَلَ عَنِ الْوَاحِدِ إِلَى الْجَمْعِ ، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُخْتَصًّا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَهُ ، بَلْ كَانَ أَصْحَابُهُ يَقْتَفُونَ أَثَرَهُ وَيَقْتَدُونَ بِفِعْلِهِ .

قَوْلُهُ : ( عَلَى السُّفْرِ ) جَمْعُ سُفْرَةٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهَا فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ عَائِشَةَ الطَّوِيلِ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَنَّ أَصْلَهَا الطَّعَامُ الَّذِي يَتَّخِذُهُ الْمَسَافِرُ ، وَأَكْثَرُ مَا يُصْنَعُ فِي جِلْدٍ ، فَنُقِلَ اسْمُ الطَّعَامِ إِلَى مَا يُوضَعُ فِيهِ ، كَمَا سُمِّيَتْ الْمَزَادَةُ رِوَايَةً . انْتَهَى مِنْ كَلَامِهِ رحمه الله

#### الحديث الثالث

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي "صحيحه" (كتاب الأطعمة ، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون) قال :- ( حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنِ الْأَسْوَدِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ قَدِيمِ الْمَدِينَةِ مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ . ) (٨٥)

أَخْرَجَ ابْنُ حِبَانَ فِي "صحيحه" (كتاب التاريخ ، ذكر البيان بأن المصطفى صلى الله عليه وسلم قد كان يبذل ما وصفناه من هذه الدنيا مع ما يعزف نفسه عنها) قال :- ( أَخْبَرَنَا أَحْسَنُ بْنُ سُمْفَيَانَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ عَنْ مُوسَى بْنِ

(٨٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٠ / ٧) برقم: (٥٣٨٦) (كتاب الأطعمة ، باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة)  
(٨٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٥ / ٧) برقم: (٥٤١٦) (كتاب الأطعمة ، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون)

يَعْفُوبَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، أَنَّ عَائِشَةَ ، أَخْبَرَتْ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَشْبَعِ شَبْعَتَيْنِ فِي يَوْمٍ حَتَّى مَاتَ . ( ٨٦ )

#### الحديث الرابع

أَخْرَجَ الضَّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي " الْأَحَادِيثِ الْمُخْتَارَةِ " ( أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَبِيبَةَ اللَّهِ النَّحْوِيُّ الضَّرِيرُ - بَيْغَدَادَ - أَنَّ الْمُبَارَكَةَ سِتَّ الْإِخْوَةَ بِنْتَ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ أَخْبَرَتْهُمْ ، أُنْبَا عَاصِمُ بْنُ الْحَسَنِ ، أُنْبَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشْرَانَ ، أُنْبَا أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الصَّقَّارُ ، ثَنَا يُونُسُ بْنُ الصَّحَّاحِ الْفَقِيهُ ، ثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ ، ثَنَا أَبُو هَاشِمٍ عَمَّارُ بْنُ عُمَارَةَ صَاحِبُ الرَّعْفَرَانِيِّ ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّ فَاطِمَةَ جَاءَتْ بِكِسْرَةٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْكِسْرَةُ يَا فَاطِمَةُ ؟ قَالَتْ : فُرْصٌ خَبَرْتُهُ فَلَمْ تَطِبْ نَفْسِي حَتَّى أَتَيْتُكَ بِهَذِهِ الْكِسْرَةِ ، فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ أَوْلُ طَعَامٍ دَخَلَ فَمَ أَبِيكَ مُنْذُ ثَلَاثٍ . ) ( ٨٧ )

#### الحديث الخامس

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " ( حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَادٍ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ( وَاللَّفْظُ لِأَبِي عَامِرٍ ) ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ بُرَيْدٍ ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أُوطَاسٍ ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ ، فَقَتِلَ دُرَيْدٌ وَهَرَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى : وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ ، قَالَ : فَرَمِي أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ ، فَأَتَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا عَمَّ ، مَنْ رَمَاكَ ؟ فَأَشَارَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ : إِنَّ ذَلِكَ قَاتِلِي ، تَرَاهُ ذَلِكَ الَّذِي رَمَانِي ؟ قَالَ أَبُو مُوسَى : فَصَصَدْتُ لَهُ فَأَعْتَمَدْتُهُ فَلَجَفْتُهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَلِيَّ عَيِّي ذَاهِبًا فَاتَّبَعْتُهُ ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ : أَلَا تَسْتَحْيِي ؟ أَلَسْتَ عَرَبِيًّا ؟ أَلَا تَتُبْتُ ؟ فَكَفَّ ، فَالْتَقَيْتُ أَنَا وَهُوَ ، فَاخْتَلَفْنَا أَنَا وَهُوَ صَرِيحَتَيْنِ فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي عَامِرٍ فَقُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ صَاحِبِكَ . قَالَ : فَانزِعْ هَذَا السَّهْمَ . فَزَرَعْتُهُ فَزَرَا مِنْهُ الْمَاءُ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ أَبُو عَامِرٍ اسْتَغْفِرُ لِي . قَالَ : وَاسْتَغْمَلِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ وَمَكَثَ يَسِيرًا ، ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي بَيْتٍ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ ، وَقَدْ أَتَرَ رِمَالِ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَنَابِيهِ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِنَا وَخَبْرِ أَبِي عَامِرٍ ، وَقُلْتُ لَهُ : قَالَ قُلْ لَهُ يَسْتَغْفِرُ لِي . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِي أَبِي عَامِرٍ - حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ مِنْ النَّاسِ . فَقُلْتُ : وَلي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاسْتَغْفِرْ ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا .

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ : إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ ، وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى . ( ٨٨ )

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي " جَامِعِهِ " ( أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابُ ) قَالَ :- ( حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكِنْدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ حُبَابٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْمَسْعُودِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : نَامَ

( ٨٦ ) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَانَ فِي " صَحِيحِهِ " ( ١٤ / ٢٨٦ ) بِرَقْم : ( ٦٣٧١ ) ( كِتَابُ التَّارِيخِ ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ يَبْذُلُ مَا وَصَفَنَاهُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا مَعَ مَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ عِنْدَهَا )

( ٨٧ ) أَخْرَجَهُ الضَّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي " الْأَحَادِيثِ الْمُخْتَارَةِ " ( ٧ / ١٦٦ ) بِرَقْم : ( ٢٥٩٦ ) ( مُسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسِ )

( ٨٨ ) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " ( ٧ / ١٧٠ ) بِرَقْم : ( ٢٤٩٨ ) ( كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي مُوسَى وَأَبِي عَامِرِ الْأَشْعَرِيِّينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا )



رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَكَابٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا . وَفِي الْبَابِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ . هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . ( ٨٩ )

#### الحديث السادس

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ" ( كِتَابُ النِّكَاحِ ، بَابُ مَوْعِظَةِ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ لِحَالِ زَوْجِهَا ) قَالَ :- ( حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَوْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، عَنِ الْمُرَاتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّتَيْنِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { إِنْ تَوَبَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } حَتَّى حَجَّ وَحَجَّجْتُ مَعَهُ وَعَدَلَّ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِإِدَاوَةِ فَتَبَرَزَ ، ثُمَّ جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنِ الْمُرَاتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { إِنْ تَوَبَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } ؟ قَالَ : وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، هُمَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرَ الْحَدِيثَ يَسُوفُهُ ، قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَجَارِي لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَيْتِ أُمِّيَّةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَهُمْ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ . وَكُنَّا تَتَنَابَوُ التُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا ، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِمَا حَدَّثَ مِنْ خَيْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ أَوْ غَيْرِهِ ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَّ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذَا قَوْمٌ تَعْلِمُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ فَصَحَبْتُ عَلَى أَمْرَاتِي فَرَاغَعْتَنِي ، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي ، قَالَتْ : وَلِمَ تُنْكَرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنْ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُرَاجِعْنَهُ وَإِنْ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ ، فَأَفْرَعَنِي ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهَا : قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ نِيَابِي فَتَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ لَهَا : أَيُّ حَفْصَةَ ، أَنْغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَقُلْتُ : قَدْ خَبِتَ وَخَسِرَتْ ، أَفَتَأْمَنِينَ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِعِضَابِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَهْلِكِي ؟ لَا تَسْتَكْثِرِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ وَلَا تَهْجُرِيهِ ، وَسَلِّبِي مَا بَدَا لَكَ ، وَلَا يَغْرَتَكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتِكَ ؛ أَوْضًا مِنْكَ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُرِيدُ عَائِشَةَ ، قَالَ عُمَرُ : وَكُنَّا قَدْ تَحَدَّثْنَا أَنَّ عَسَانَ تُنْعَلُ الْخَيْلَ لِغَرْوَانَا ، فَتَزَلُ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَرَجَعَ إِلَيْنَا عِشَاءً فَضْرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : أَمَّ هُوَ ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : قَدْ حَدَّثَ الْيَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ؟ قُلْتُ : مَا هُوَ أَجَاءَ عَسَانَ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَهْوَلُ ، طَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ فَقُلْتُ : خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ ، قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا يَوْشِكُ أَنْ يَكُونَ ، فَجَمَعْتُ عَلَيَّ نِيَابِي فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشْرُوبَةً لَهُ فَاعْتَزَلَ فِيهَا ، وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي ، فَقُلْتُ : مَا يَبْكِيكِ ، أَلَمْ أَكُنْ حَدَّرْتُكِ هَذَا ، أَطَلَّقَكُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَتْ : لَا أَدْرِي ، هَا هُوَ ذَا مُعْتَزِلٌ فِي الْمَشْرُوبَةِ ، فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ إِلَى الْمُنْبَرِ ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ ، فَجِئْتُ الْمَشْرُوبَةَ الَّتِي فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ لِغُلَامٍ لَهُ أَسْوَدٌ : اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ ، فَدَخَلَ الْغُلَامُ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : كَلَّمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَّتْ ، فَأَنْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمُنْبَرِ ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ لِلْغُلَامِ : اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ ، فَدَخَلَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَّتْ ، فَجَمَعْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمُنْبَرِ ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ الْغُلَامَ فَقُلْتُ : اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ ، فَدَخَلَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ فَقَالَ : قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَّتْ ، فَلَمَّا وُلِّيتُ مُنْصَرِفًا ، قَالَ : إِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي فَقَالَ : قَدْ أَذِنَ لَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رُمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ ، مُتَّكِنًا عَلَى وَسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لَيْفٌ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ ؟ فَرَفَعَ إِلَيَّ بَصَرَهُ فَقَالَ : لَا ، فَقُلْتُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ : اسْتَأْذِنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ إِذَا قَوْمٌ تَعْلِمُهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، فَتَبَسَّامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ لَهَا : لَا يَغْرَتُكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتِكَ أَوْضًا مِنْكَ

( ٨٩ ) أخرجه الترمذي في "جامعه" ( ٤ / ١٨٦ ) برقم: ( ٢٣٧٧ ) ( أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . باب )

وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُرِيدُ عَائِشَةَ ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسُّمَةً أُخْرَى ، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهْبَةِ ثَلَاثَةٍ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اذْعُ اللَّهُ فَلْيُوسِعْ عَلَيَّ أُمَّتِكَ ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ قَدْ وَسِعَ عَلَيْهِمْ وَأَعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ مُتَّكِنًا ، فَقَالَ: أَوْفِي هَذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ إِنَّ أَوْلِيكَ قَوْمٌ عَجَلُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَغْفِرُ لِي . فَأَعْتَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ، وَكَانَ قَالَ: مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا . مِنْ شِدَّةِ مُوجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ ، فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعَ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ كُنْتَ قَدْ أَفْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا ، وَإِنَّمَا أَصْبَحْتَ مِنْ تِسْعَ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعْدُهَا عَدًّا ، فَقَالَ: الشَّهْرُ تِسْعَ وَعِشْرُونَ ، فَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ، قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ التَّخْيِيرِ ، فَبَدَأَ بِأُولَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ فَأَخَذَتْهُ ، ثُمَّ خَبَرَ نِسَاءَهُ كُلَّهُنَّ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ . (٩٠)

#### الحديث السابع

أخرج مسلم في "صحيحه" (كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك) قال :- ( حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ ، وَعَمَرَ فَقَالَ: مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟ . قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ: وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَأَخْرِجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا ، فُومُوا . فَقَامُوا مَعَهُ ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِيئِهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي . قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرَطْبٌ ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ . وَأَخَذَ الْمُدِّيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ . فَدَبَّحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ ، وَشَرِبُوا ، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَخْرَجَكُمُ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمُ هَذَا النَّعِيمُ . ) (٩١)

#### خليل الله إبراهيم ﷺ

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمُ ﴿٦١﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء: ٦١-٦٢]

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨]

#### نبي الله شعيب ﷺ

﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَا فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ

﴿٦٩﴾ [هود: ٦٩]

#### نبي الله يوسف ﷺ

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً) قال :- ( حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ

(٩٠) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٨/٧) برقم: (٥١٩١) (كتاب النكاح ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها)

(٩١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١١٦/٦) برقم: (٢٠٣٨) (كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك)

أَكْرَمُ النَّاسِ قَالَ : أَتَقَاهُمْ فَقَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأَلُكَ قَالَ : فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ قَالُوا : لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأَلُكَ قَالَ فَعَنَ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ خِيَارَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَضُّوا قَالَ أَبُو أُسَامَةَ وَمُعْتَمِرٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ( ٩٢ )

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّالِئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يوسف: ٧-١٠]

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِء وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [يوسف: ١٥]

[١٥]

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يوسف: ١٩-٢٠]

﴿ ثُمَّ بَدَأ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف: ٢٥]

نبي الله موسى ﷺ

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [القصص: ٦١]

﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكُ الْمَلَكُ الْمُقْتَرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٢-٥٣]

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم) قال :- ( . - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَى عَيْتَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ ، فَأَتَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ ، قَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لِأَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، رَجِمَ اللَّهُ مُوسَى ، قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ . ( ٩٣ )

نبي الله لوط ﷺ

﴿ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحجر: ٧٠]

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [هود: ٨٠]

(٩٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٤٠) برقم: (٣٣٥٣) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً)

(٩٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٩٥) برقم: (٣١٥٠) (كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم)

أخرج البخاري في "صحيحه" (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ) قال :- ( حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَغْفِرُ اللَّهُ لِلُّوطِ إِنْ كَانَ لِيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ . ) (٩٤)

### لنا في صحابة نبينا محمد ﷺ أسوة حسنة

مصعب بن عمير ؓ

أخرج البخاري في "صحيحه" ( كتاب الجنائز ، باب إذا لم يوجد إلا ثوب واحد ) قال :- ( حَدَّثَنَا ابْنُ مُقَاتِلٍ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ : أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آتَى بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ ، إِنْ عُطِيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِنْ عُطِيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ. وَأَرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْرَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، ثُمَّ بَسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسِطَ ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عَجَلَتْ لَنَا ، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ . ) (٩٥)

### هل هذه مفاجأة أم أن الله ﷻ أخبرنا بهذا؟

آل عمران (١٨٦)

﴿ لَتَجْلِبُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷻ في "تفسيره" :-

يخبر تعالى ويخاطب المؤمنين أنهم سيبتلون في أموالهم من النفقات الواجبة والمستحبة، ومن التعريض لإتلافها في سبيل الله، وفي أنفسهم من التكليف بأعباء التكاليف الثقيلة على كثير من الناس، كالجهد في سبيل الله، والتعرض فيه للتعيب والقتل والأسر والجراح، وكالأمراض التي تصيبه في نفسه، أو فيمن يجب.

﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، ومن الذين أشركوا أذى كثيرا﴾ من الطعن فيكم، وفي دينكم وكتابكم ورسولكم. وفي إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فوائد: منها: أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، لتمييز المؤمن الصادق من غيره. ومنها: أنه تعالى يقدر عليهم هذه الأمور، لما يريد بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، وليزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك ووقع كما أخبر ﷻ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﷻ ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فهمون عليهم حملة، وتخف عليهم مؤنته، ويلجأون إلى الصبر والتقوى، ولهذا قال: ﴿وإن تصبروا وتتقوا﴾ أي: إن تصبروا على ما نالكم في أموالكم وأنفسكم، من الابتلاء والامتحان وعلى أذية الظالمين، وتتقوا الله في ذلك الصبر بأن تنووا به وجه الله والتقرب إليه، ولم تتعدوا في صبركم الحد الشرعي من الصبر في موضع لا يحل لكم فيه الاحتمال، بل وظيفتكم فيه الانتقام من أعداء الله.

(٩٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٤٨) برقم: (٣٣٧٥) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون )

(٩٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٧٧) برقم: (١٢٧٥) (كتاب الجنائز ، باب إذا لم يوجد إلا ثوب واحد )

﴿فإن ذلك من عزم الأمور﴾ أي: من الأمور التي يعزم عليها، وينافس فيها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية كما قال تعالى: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ انتهى من كلامه ﷺ

### هل هناك صلة بين نعيم الدنيا والكرامة على الله ﷻ؟

الصلة منقطعة تماما بينما يقع بكم في أمور الدين والدنيا وبين مسألة الغلاء والرخص، لا يدل ما يحدث هذا على أنك رخيص، لك فيما سبق ذكره من قصص أنبياء الله ورسوله وصحابة نبينا محمد ﷺ تعزية وسلوان، الدنيا ليست المعيار.

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَا﴾ [الكهف: ٢٨]

تأمل قول الله ﷻ في سورة الكهف في القصة المعروفة

﴿وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٢٤]

تأمل قول الله ﷻ

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَلْمِزُنُنِي أَبْنِي لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ ﴿٣١﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى آلِهَةِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا

﴿[غافر: ٣١-٣٧]

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ

يُوتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]

### كيف يكون الكفار في هذا النعيم وحال المسلمين لا يخفى على أحد؟

تأمل الجواب من الله ﷻ

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتْلَعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

﴿[الزخرف: ٣٣ - ٣٥]

يقول السعدي ﷻ في تفسيره :-

يخبر تعالى بأن الدنيا لا تسوى عنده شيئا، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده، التي لا يقدم عليها شيئا، لوسَّع الدنيا على الذين كفروا توسيعا عظيما، ولجعل {البُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ} أي: درجا من فضة {عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} على سطوحهم

{وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ} من فضة، ولجعل لهم {زخرفا} أي: لزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، وأعطاهم ما يشتهون، ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفا عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عاما أو خاصا لمصالحهم، وأن الدنيا لا تنز عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة

الدنيا، منغصة، مكدره، فانية، وأن الآخرة عند الله تعالى خير للمتقين لربهم بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيها الأنفس وتلد الأعين، وهم فيها خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين". انتهى من كلامه ﷺ

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَزَّهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

﴿التوبة: ٥٥﴾

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥]

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ﴿١٨٣﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]

﴿فَدَرَرْنِي وَمَنْ يُكَدِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ﴿٤٥﴾ [القلم: ٤٤-٤٥]

﴿٤٤-٤٥﴾

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي

السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿١٢٦﴾ [الأنعام: ١٢٥-١٢٦]

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ

نُذِرُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾ [آل عمران: ١٣٦-١٣٧]

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ

عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٣٨﴾ [النساء: ١٣٧-١٣٨]

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ

تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ﴿٦٤﴾ [ص: ٦٢-٦٤]

إجماع أهل التفسير على فضل الله ورحمته في الآية (٥٨) من سورة يونس

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ [يونس: ٥٨]

قال السعدي (١٣٧٦ هـ) ﷺ في "تفسيره" :-

ولذلك أمر تعالى بالفرح بذلك فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الذي هو القرآن، الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به على

عباده ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته. ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من متاع الدنيا ولذاتها.

فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب.

وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضلته ورحمته، لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود، بخلاف الفرح بشهوات الدنيا ولذاتها، أو الفرح بالباطل، فإن هذا مذموم كما قال [تعالى عن] قوم قارون له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾.

وكما قال تعالى في الذين فرحوا بما عندهم من الباطل المناقض لما جاءت به الرسل: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ انتهى من كلامه ﷺ

وفي "موسوعة التفسير بالمأثور"

قراءات

٣٤٥٨٥ - عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه كان يقرأ: (فَبَدَّلِكَ فَلْتَفْرَحُوا)

٣٤٥٨٦ - عن أبي بن كعب، قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَبَدَّلِكَ فَلْتَفْرَحُوا) بالتاء

٣٤٥٨٧ - عن أبي بن كعب - من طريق ابن أبي عمير، عن أبيه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ». فقلت: أسماني لك؟ قال: «نعم». قيل لأبي: أفرحت بذلك؟ قال: وما يمنعني، والله يقول: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبَدَّلِكَ فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ). هكذا قرأها بالتاء

٣٤٥٨٨ - عن أبي بن كعب - من طريق ابن أبي عمير عن أبيه - أنه كان يقرأ: (فَبَدَّلِكَ فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ) بالتاء

تفسير الآية

(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبَدَّلِكَ فَلْتَفْرَحُوا)

٣٤٥٨٩ - عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ}، قال: (فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلكم من أهله)

٣٤٥٩٠ - عن أئيفع الكلاعي، قال: لما قدم خراج العراق إلى عمر خرج عمر وموئى له، فجعل يعدد الإبل، فإذا هو أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: الحمد لله. وجعل مولاه يقول: هذا -والله- من فضل الله ورحمته. فقال عمر: كذبت، ليس هذا هو الذي يقول: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

٣٤٥٩١ - عن أبي سعيد الخدري - من طريق عطية العوفي - في قوله: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ}، قال: فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلكم من أهله.

٣٤٥٩٢ - عن البراء - من طريق أبي سعيد الخدري - {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ}، فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلهم من أهله.

٣٤٥٩٣ - عن عبد الله بن عباس، في قوله: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ}، قال: بكتاب الله، وبالإسلام.

٣٤٥٩٤ - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - في قوله: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ}، قال: فضله: الإسلام، ورحمته: القرآن.

٣٤٥٩٥ - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطية العوفي - في الآية، قال: فضل الله: القرآن، {وَبِرَحْمَتِهِ}: حين جعلهم من أهل القرآن.

٣٤٥٩٦ - عن عبد الله بن عباس، في الآية، قال: فضلُ الله: العلمُ، ورحمته: محمدُ صلى الله عليه وسلم؛ قال الله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]

٣٤٥٩٨ - قال عبد الله بن عمر: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ} فضل الله: الإسلام، {وبرحمته}: تزيينه في القلب.

٣٤٥٩٩ - عن هلال بن يسافٍ - من طريق سفيان، عن منصور- {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ}، قال: فضلُ الله: الإسلامُ، ورحمته: القرآنُ.

٣٤٦٠٠ - عن هلال بن يسافٍ - من طريق فضيل، عن منصور- في قوله: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ}، قال: بالإسلام الذي هداكم، وبالقرآن الذي علّمكم.

٣٤٦٠١ - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح- {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ}، قال: القرآن.

٣٤٦٠٢ - عن الضحاك بن مُزاحم - من طريق جُوَيْرٍ - في الآية، قال: فضلُ الله: القرآنُ، ورحمته: الإسلامُ.

٣٤٦٠٣ - عن خالد بن معدان: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ} فضل الله: الإسلام، {وبرحمته}: السنة.

٣٤٦٠٤ - عن سالم بن عبد الله بن عمر - من طريق منصور- {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ}، قال: الإسلامُ، والقرآنُ.

٣٤٦٠٥ - عن الحسن البصري - من طريق مَعْمَرٍ - {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ}، قال: فضله: الإسلامُ، ورحمته: القرآنُ.

٣٤٦٠٦ - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد-، مثله.

٣٤٦٠٧ - عن الحسن البصري - من طريق أبي سهيل كثير بن زياد- في قول الله: {فبذلك فليفرحوا}: بالإسلام، والقرآن.

٣٤٦٠٨ - عن القاسم بن أبي بزة، قال: بالقرآن.

٣٤٦٠٩ - عن زيد بن أسلم - من طريق ابنه عبد الرحمن- في الآية، قال: فضلُ الله: القرآنُ، ورحمته: الإسلامُ.

٣٤٦١٠ - قال مقاتل بن سليمان: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ} يعني: القرآن، {وبرحمته}: الإسلام.

٣٤٦١١ - روى سفيان بن عيينة: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ}، فضل الله: التوفيق، ورحمته: العِصْمَةُ

### لماذا ينقمون كل هذه النعمة على القرآن الكريم؟

﴿يُرِيدُونَ لِيُظْفِرُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٨-٩]

### الجواب باختصار

- لأنهم عجزوا عن أن يردوا على ما فيه من صريح التحدي لهم وبيان حقيقة معتقداتهم الباطلة
- لأنهم لا يستطيعون إيقاف انتشار القلوب والصدور والنفوس والعقول للإسلام والقرآن الكريم، وهذا واضح ولله الحمد في ازدياد أعداد المسلمين وانتشاره في جنات الأرض برغم ما يواجهه من تحديات غير عادية<sup>(٩٦)</sup>

<sup>(٩٦)</sup>من هذه المصادر



- لأنهم عجزوا أن يأتوا بمثله (٩٧)
- لأنهم علموا جيدا أن حفظ الله ﷻ لهذا الكتاب العزيز دون تحريف أو تغيير أو تبديل هو السبب الرئيسي في صمود هذه الأمة وبقائها على قيد الحياة، حتى وإن انتابها فترات من الضعف والمرض، بل وحتى النذل والهوان ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا أن العمل والتمسك بكتاب الله ﷻ هو الطريق في استعادة هذه الأمة عزها ومجدها، والذي سيعود حتما لا ريب ولا شك، وَعَدُّ رَبِّنَا ﷻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ فهذا دين يمتلك كل مقومات الحياة والعزة في ذاته، بل ويكون سببا فمهما لمن استمسك به

- 
- [الغارديان: الإسلام سيكون الديانة الأولى في العالم بحلول سنة ٢٠٦٠](#)
  - [نمو الدين \(ويكيبيديا\)](#)
  - [دراسة أمريكية: الإسلام سيصبح أكبر ديانة في العالم بحلول ٢٠٧٠](#)
  - [الإسلام: الدين "الأسرع" نموا في العالم \(CNN\)](#)
  - [دراسة: الإسلام الأكثر انتشارا كدين رسمي في العالم \(RT\)](#)
  - [دراسة لـ "بيو": الإسلام الديانة الأسرع انتشارا في العالم \(CNN\)](#)

(٩٧) سبق بحمد الله ﷻ وحده الإشارة إلى ملامح من هذا في المبحث الثاني (القول في إعجاز القرآن)

## خاتمة

عندما نقرأ ونسمع ونشاهد في وسائل الإعلام المختلفة كيف يتعامل الغرب مع القرآن الكريم لا بد أن نتوقف لتأمل هذا الأمر، وعندما نجد أن التصريحات من المسؤولين في هذه الدول بعد هذه الجرائم النكراء التي تنافي العقل والفترة والشرع، تصريحات من العينة التي ذكرت بعضها د. منار الشوربجي في مقال بعنوان "وما المفاجئ في جريمة حرق المصحف؟ (٢)" في جريدة "المصري اليوم" المصرية مثل (فالشرطة الدنماركية وصفت مظاهرة ركل المصحف الشريف بالأقدام بأنها «كانت سلمية.. من وجهة نظر البوليس»!، أما رئيس وزراء السويد، فرغم أن حكومته أدانت حرق المصحف يوم عيد الأضحى، فقد قال الرجل إن الفعل «رغم قانونيته، إلا أنه غير مناسب». وتعبير «غير مناسب» هو ما يستحق التأمل. فهو لم يعتبره مثلاً «جريمة كراهية»، وإنما اعتبره ببساطة «غير مناسب». أكثر من ذلك، فرغم أنه وصف اقتحام سفارات بلاده في العالم الإسلامي، احتجاجاً على حرق المصحف بأنه «ليس مقبولاً على الإطلاق»، فإنه لم يستخدم حتى تلك العبارة نفسها أي «ليس مقبولاً على الإطلاق» لوصف الجريمة الأصلية التي نتج عنها الاقتحام، وإنما دعا «للهدوء» داخل السويد لأن «الوضع الأمني خطير، ولا داعي لإهانة الآخرين». وكلمة «الآخرين» لافتة هي الأخرى، إذ إن المسلمين الحاملين للجنسية السويدية صاروا يندرجون تحت اسم «الآخرين»، الأمر الذي يغذى بالضرورة فكرة اختلافهم عن باقي السويديين! فالمفردات التي يستخدمها السياسيون عادة ما يتم انتقاؤها بعناية خصوصاً في ظروف قال عنها الرجل بنفسه إنها تمثل «وضعاً أمنياً خطيراً»، الأمر الذي يلزم معه أن نولي اهتماماً معتبراً لعملية إنتاج المعنى في الغرب لأنها تقع في القلب من الظاهرة برمتها. (٩٨) وبالتأكيد فإن الصمت والتجاهل ليس هو الحل المناسب لهذه الأزمة، فالصمت مع العمل قد يكون حلاً، أما الصمت مع التجاهل وعدم الفعل فليس بالتأكيد من شيم المسلم.

في هذه الدراسة - يسر الله ﷻ وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله - استعراض بعض النقاط التي نأمل أن تؤدي بنا - إن شاء الله - إلى حل عملي نستعين بالله ﷻ ونسير عليه ويكون مناسباً للمرحلة الحالية.

منهج الدراسة قائم - ولله الحمد والمنة - على تأمل كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ ثم آثار الصحابة والتابعين والمأثور من أقوالهم ثم أقوال المفسرين، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة :-

- محاولة صياغة مشكلة البحث في صورة أسئلة واضحة محددة، وسؤال البحث الرئيسي هو ما أوردنا منه جزءاً في العنوان :- ما هو واجبتنا تجاه حرق المصحف الشريف؟
- استقراء النقاط المتعلقة بمشكلة البحث، وصياغتها في تسلسل وترابط يؤدي بالقارئ الكريم إلى الوصول - إن شاء الله - إلى نتيجة وخطة عملية قابلة للتنفيذ في حدود الإمكانيات المتاحة
- تأمل الكتاب والسنة والأثر وأقوال المفسرين وربطها بالواقع محاولين البحث عن منهج وصياغته مؤمنين أن القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ فيهما النجاة والفوز والفلاح
- محاولة اختصار الخطة العملية في نقاط محددة، ليست هذه الدراسة هي محل الاستفاضة في كيفية تنفيذها، فمثل هذا له موضعه ويتفاوت من شخص لآخر ومن مكان لآخر ومن زمان لآخر، ولكن التركيز على منهجية متكاملة يندرج تحتها الكثير من التفاصيل التي تم الإشارة إلى مظان وجود تفاصيلها

(٩٨) د. منار الشوربجي، "وما المفاجئ في جريمة حرق المصحف؟ (٢)"، جريدة المصري اليوم، من النسخة الورقية، العدد: ٦٩٩٤، [المقال كاملاً](#)

تمر رحلتنا في هذه الدراسة بالمراحل التالية :-

١. بيان أن التحدي بإعجاز القرآن الكريم تحدّد قائم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، ولا يزال التحدي قائماً!
٢. بيان أنه لو كانت لديهم القدرة على تحدي إعجاز القرآن الكريم ما خاضوا غمار الحروب وخسارة الأموال والأنفس في سبيل أمر يستطيعوا أن يواجهوا دون هذه الخسارة، فما قاموا ويقوموا به دليل عجزهم التام
٣. هذه الدراسة ليست خاصة بفرد بعينه، ولكن من اللافت للنظر أن صاحب الجريمة في هذه المرة كان نصرانياً، ومن المشاكل الواضحة لمن كان نصرانياً أنه يُسقط ما يجده من تناقضات وأخطاء جلية في عقيدته وكتابه على الإسلام والقرآن، دون أن يتأمل القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ وشرائع الإسلام، فتجده يتعامل مع هذا الدين وثوابته بما لديه من خلفية عقيمة مريضة. من الملفت في هذه الحادثة أن صاحب هذه الجريمة كان نصرانياً، وبدلاً من أن يقوم بحرق الإنجيل، الذي من المفترض أن مشكلته الأساسية معه، قام بحرق القرآن الكريم.
٤. استعرضت هذه الدراسة ملمحاً يسيراً من تناقضات النصرانية ليستطيع القارئ الكريم أن يتصور عمق المشكلة التي يعاني منها مثل هذا المجرم الأثيم، وبالتأكيد ليس هذا مبرراً لهذه الجريمة النكراء، ولكنه نوع من حمد الله ﷻ وشكره على عظيم نعمه علينا بالإسلام والقرآن وإرسال نبينا محمد ﷺ
٥. فبعد أن يطلع القارئ الكريم على ملمح من هذه التناقضات، لا يتعجب إن وجد هذا المجرم الأثيم قد أُلحد، فإنه لم يجد في دينه المحرف الذي كان عليه ولم يجد في عقيدته الفاسدة ما يتيقن من صوابه عندما يتفكر ويتدبر ويتأمل، ولا يجد صحة ودقة في النقل، وإنما يجد المغالطات والتحريف والتناقضات، ولا يجد جواباً شافياً كافياً، والحمد لله على نعمة الإسلام
٦. وإذا ظنّ أحد من المسلمين أن طول العشرة قد يكون لها تأثير في الاعتقاد، فقد حاء هذا المبحث لبيان أهمية الولاء والبراء في اعتقاد المسلم، واستقراء بعض آيات من كتاب الله ﷻ التي تحث على الولاء والبراء وتحضُّ عليه
٧. ثم ينتقل البحث إلى محاولة إجابة سؤال -: هل قرؤوا القرآن وتدبروه؟ الجواب باختصار -: يقينا لا، ويأتي ذكر بعض الأدلة على هذا السؤال. وإن أراد القارئ الكريم معرفة لماذا هذا السؤال، فالجواب باختصار شديد هو لبيان أن ما يقومون به من إجرام ناتج عن جهل شديد بالقرآن الكريم
٨. ثم ننتقل إلى فائدة مهمة في سيرنا تجاه واجبتنا تجاه هذه الجريمة النكراء ألا وهي هل يكون مواجهة إجرامهم بفعل مثل فعلهم، وإذا كان الجواب - وهو الصواب - أن لا، فما هي الدوافع التي تمنع المسلم أن يأتي مثل هذه الأفعال النكراء ولا حول ولا قوة إلا بالله
٩. وبعد هذه المقدمات التي أسست للحل المقترح، يأتي هذا المبحث ليكون المدخل إلى التوصيف الدقيق للدافع الحقيقي لهذه الجريمة النظراء، فقد يتصور البعض أن جرائمهم هذه ناتجة من تعاملهم مع القرآن الكريم أنه كتاب عادي، وليس هذا هو الواقع، فإنك لا تجد مثل هذا الاهتمام بحرق إحدى القصص مثلاً، إذا فما هو الدافع الحقيقي وراء هذه الجريمة النكراء؟ إنه باختصار (الاعتقاد)
١٠. ثم تسرد في هذا المبحث أقسام الناس في التعامل مع هذه الجريمة النكراء، وتأمل أن هذا الأمر مهم جداً ليعرف كل واحد منا موقعه وينتبه لما في هذه الأقسام - خاصة الأولى منها - من خداع نفسي يوهم صاحبه بالاستسلام للأمر أو أنه قد أدى ما عليه، لكي يكون القارئ الكريم على استعداد لما سيأتي - إن شاء الله - وتأمل أن الحل المقترح ذو توجهات وأطراف عديدة، لا لكي نتركه، ولكن ليجد القارئ الكريم أبواب مختلفة يحاول أن يرمي في كل واحدة منها بسهم - إن شاء الله -

١١. عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِيهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ

وَعَامَّتِهِمْ. وقفة مع هذا الحديث الجامع الماتع قبل البدء في الواجبات

١٢. ثم تبدأ الواجبات بالترتيب وبالاختصار والإيجاز غير المُجَلِّ – إن شاء الله –

١. واجبتنا مع الله ﷻ

٢. واجبتنا مع كتاب الله ﷻ

٣. واجبتنا مع رسول الله ﷺ

٤. واجبتنا مع أئمة المسلمين

٥. واجبتنا مع عامة المسلمين

٦. واجبتنا مع غير المسلمين

٧. واجبتنا مع الدول التي قامت أو دعمت أو امتنعت عن إدانة هذه الجريمة النكراء

٨. واجبتنا مع من قام بهذه الجريمة النكراء

٩. واجبتنا مع المنافقين والعلمانيين وأذناهم

١٠. واجبتنا مع الأزواج والأبناء

١٣. ثم يأتي التأكيد على معنى مهم جدا ألا وهو أن المسلم لا يهون على الله ﷻ وإن هان على الناس، ولنا فيما تعرض له الأنبياء

قدوة وأسوة، وخصوصا نبينا محمد ﷺ، ولنا في صحابة نبينا محمد ﷺ أسوة حسنة، ثم يأتي جواب بعض الأسئلة الهامة

جدا:-

١. هل هذه الابتلاءات مفاجأة أم أن الله ﷻ أخبرنا بهذا؟

٢. هل هناك صلة بين نعيم الدنيا والكرامة على الله ﷻ؟

٣. كيف يكون الكفار في هذا النعيم وحال المسلمين لا يخفى على أحد؟

٤. لماذا ينعمون كل هذه النعمة على القرآن الكريم؟

ختاما، نسأل الله العظيم أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يتقبل منا، إنه ولي ذلك ومولاه، وما كان من توفيق فمن

الله ﷻ وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ﷻ ورسوله ﷺ منه بريتان

## السيرة الذاتية

الاسم :- هيثم عبد المنعم الغريب

الوظيفة :- أستاذ نظم المعلومات المساعد، كلية الحاسبات والمعلومات، جامعة المنصورة، مصر

محل الميلاد :- الكويت – حفظها الله –

الجنسية ومحل الإقامة :- مصر – حفظها الله -

تاريخ الميلاد :- ٥ ذو القعدة ١٤٠١ هـ – الموافق :- ٠٣ سبتمبر ١٩٨١ م

الحالة الاجتماعية :- متزوج ويعول ولله الحمد والمنة

في باب الاعتقاد :- ولله الحمد والمنة، مسلم، سني المعتقد، سلفي المنهج، على جادة أهل السنة والجماعة، إن شاء الله، يحب أهل

العلم وطلابه، ويحاول جهده صحبتهم وملازمتهم، ويسأل الله ﷻ التوفيق والسداد والثبات والرشاد

المذهب الفقهي :- حنبلي

من أبرز من شرفَ - ولأزال بحمد الله - بالحضور لهم – بفضل الله وحده –

- فضيلة الشيخ الحبيب القريب الأستاذ الدكتور / أحمد عبدالرحمن النقيب – حفظه الله – والذي كان له أكبر الأثر في حياته وسلوكه ومنهجه، جزاه الله خيرا
- فضيلة الشيخ / مصطفى بن العدوي – حفظه الله – وجزاه الله خيرا
- فضيلة الشيخ / أبو حفص سامي بن العربي – حفظه الله -
- فضيلة الشيخ الحبيب / أبوبكر علي بن الشرقاوي – حفظه الله – والذي كان له أكبر الأثر في طلبه للعلم، جزاه الله خيرا
- فضيلة الشيخ الحبيب / أبوبكر مؤمن البدوي إسماعيل – حفظه الله -
- فضيلة الشيخ الدكتور / محمد حسن عبدالغفار – حفظه الله –
- فضيلة الشيخ الحبيب / محمد حجر – حفظه الله – وجزاه الله خيرا
- فضيلة الشيخ / أيمن إسماعيل – حفظه الله –
- فضيلة الشيخ / هاني الشرقاوي – حفظه الله –

يحاول جهده في الاستفادة من تخصصه العلمي الأكاديمي المتعلق بالوسائل التقنية الحديثة في طلب العلم الشرعي، وقد يسر الله

ﷻ بفضلله وكرمه الاستفادة من كثير من أهل العلم والفضل بهذه الطريقة ولله الحمد والمنة، ومنهم :-

- فضيلة الشيخ المُحدِّث / أبي إسحاق الحويني – حفظه الله – والذي كان له كبير الأثر في حياته، فكم في الدنيا من مشغل بالحديث، لكنَّ حُبَّ الله ورسوله ﷺ وتعظيم الوحيين والانشغال بأمر هذه الأمة مع إتقان علم الحديث أمر يتميز به القليلون، أسأل الله ﷻ أن يحفظ شيخنا الحبيب ويبارك في عمره وعمله وعلمه وأن يمن عليه بوافر الصحة وأن ينفع به
- فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / مطلق الجاسر – حفظه الله – والذي له إسهام كبير من خلال أكاديمية (مُرتقى)

- فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / حسن بخاري - حفظه الله - والذي له إسهام كبير بالمحتوى العلمي الأصولي في برنامج (معاقد الأصول)
- فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / سعد بن تركي الخثلان - حفظه الله - وجزاه الله خيرا عما أمتعنا به في (السلسبيل شرح الدليل) وغيره الكثير
- فضيلة الشيخ / صالح العصيمي - حفظه الله -
- فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / محمد باجابر - حفظه الله -
- فضيلة الشيخ الدكتور / عثمان الخميس - حفظه الله -
- فضيلة الشيخ الدكتور / حسن الحسيني - حفظه الله -

وبالنسبة للدراسة عبر الانترنت، فإنه والله الحمد والمنة

- أنهاء الله ﷻ من الدراسة في (أكاديمية زاد)
  - أنهاء الله ﷻ من مسار البرنامج الأساسي في (أكاديمية تفسير)
  - بحمد الله وحده حاليا في السنة الثانية في (أكاديمية مرتقى للعلوم الشرعية)
  - بحمد الله وحده في المرحلة الأخيرة من برنامج (التأهيل الفقهي - المذهب الحنبلي)
- ولا تزال - والله الحمد والمنة - أمة الإسلام عامرة بأهل العلم وطلابه والفضلاء، نسأل الله ﷻ أن يبارك في هذه الأمة وأن يرد لها عزها ومجدها وأن يتقبل منا وأن يستعملنا في مرضيه، إنه جواد كريم